سيد مرعى:
أعلم أن وزير الداخلية كاذب!

كان المهندس سيد مرعى رجلا ذكيا وسياسيا محنكا خابر الحياة السياسية من مختلف جوانبها فكان وزير زراعة الإصلاح الزراعى فى عهد جمال عبد الناصر ثم الرجل المغضوب عليــه والمهدد بالاعتقال فى أى لحظة، ثم رئيس مجلس الشــعب وصهر الرئيس فى عهد أنور الســادات، ثم السياسى المتقاعد فى عهد حسنى مبارك، وقد أكسبه ذلك نظرة شاملة جعلته يرى الواقع على حقيقته دون تزييف ولا تجميل.

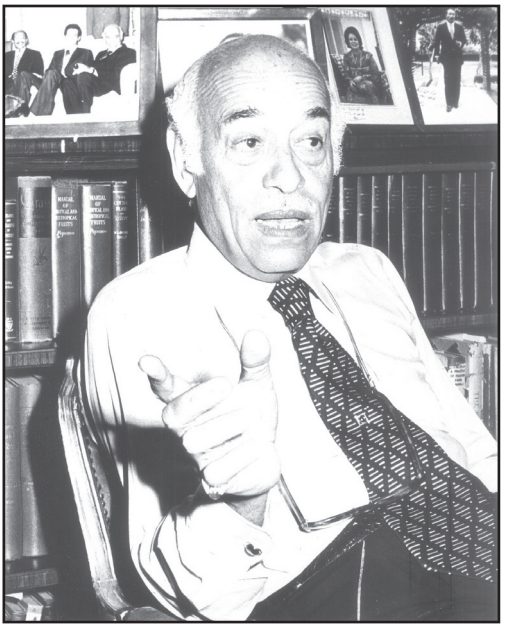

سيد مرعى

كانت تربطنى بالمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب الأسبق علاقات أسرية ممتدة عبر الســنين تعود إلى سنوات دراسته حين تزامل مع والدى بكلية الزراعة فجمعت بينهما صداقة قوية جعلتهما أكثر من الأشقاء وامتدت لتشمل بقية أفراد أسرة كل منهما.

لذلك كان من الطبيعى أن يكون سيد مرعى هو أول من اتصل بأسرتى ليطمئن على حين علم باعتقالى فى انتفاضة يناير ١٩٧٧م، ففى يوم ١٧ يناير من ذلك العام عمت جميع أنحاء البلاد انتفاضة شعبية عارمة لم تكن البلاد قد شهدت مثلها منذ أحداث ثورة ١٩١٩م، وقد حجزت يومها فى (الأهرام) غير قادر على الخروج منه بسبب المظاهرات التى أغلقت جميع الشوارع والتى قام بعض المشاركين فيها بالاعتداء على عدد من المنشآت العامة بوسط البلد حيث مقر الجريدة، وهكذا لم أتمكن من العودة إلى منزلى إلا فى ساعة متأخرة من الليل.

وما هى إلا ساعات قليلة حتى أيقظنى بمنزلى بالمعادى زوار الفجر الذين كان يحلو للرئيس السادات أن يؤكد فى أحاديثه السنوية لرئيسة التليفزيون همت مصطفى بمناسبة عيد ميلاده أنه قد أوقفهم (لأنى أنا شخصيا عانيت منهم يا همت يا بنتى)! وهكذا منع نهائيا – على حد زعمه – تلك الممارسات التى كانت تجرى فى العهود السابقة كما كان يقول إنه فى ظل دولة القانون التى أرساها لم يعد يتم القبض على أى مواطن إلا بإذن من النيابة.

ومنذ لحظة مغادرتى المنزل مع زوارى فى فجر ذلك اليوم والذين لم يكونوا يحملون إذنا من النيابة، غابت عن أسرتى أى أخبار عنى أو عن مكان وجودى، وبعد عدة أيام خرجت صحف الصباح حاملة (مانشيت) رئيسى يحمل عناوين مؤتمر صحفى كان قد عقده فى اليوم السابق رئيس الوزراء ممدوح سالم وأعلن فيه أنه تم التوصل إلى (رؤوس الفتنة) على حد قوله، وأنه قد تم القبض فى هذا الإطار على أربعة صحفيين هم فيليب جلاب وحسين عبد الرازق ومحمد سلماوى ويوسف صبرى!!

ولقد شعرنا نحن الأربعة فى زنزانتنا بسجن الاستئناف بفخر كبير لا أساس له لأننا– بناء على تلك المعلومات المغلوطة – تمكنا من تحريك الشعب المصرى كله من الإسكندرية إلى أسوان، وربما كنت أنا أكثرهم فخرا حيث إننى – على ما يبدو – تمكنت من القيام بتلك المهمة دون أن أنزل إلى الشارع، ودون أن تكون لى أية صلة بالمتظاهرين، ودون حتى أن أشاهد تلك المظاهرات.

ومع ذلك فحين استعلم المهندس سيد مرعى من وزير الداخلية النبوى إسماعيل عن وضعى وعن أسباب اعتقالى قال الوزير لسيد مرعى وهو رئيس مجلس الشعب وصهر رئيس

الجمهوريــة إن (التهمة لابســاه مائــة بالمائة)، وقال إن أجهزة الأمــن لديها صورة لى فى المظاهرات محمولا على الأكتاف وأقود الهتافات!!

كان هذا هو ما نقله المهندس سيد مرعى لأسرتى مؤكدا لهم أنه يتابع حالتى عن قرب لكن ذلك قد يســتغرق بعض الوقت بســبب حالة الفوضى القائمة وخطورة الوضع السياسى آنذاك، وأنه سيتم الإفراج عنى بمجرد أن تهدأ الأوضاع.

ويبدو أن خطورة الوضع السياسى الذى قيل إننى فجرته مع زملائى الصحفيين الثلاثة قد استمرت عدة أسابيع حيث لم يتم الإفراج عنى إلا بعد حوالى شهرين حين نظر القضاء الأمــر فأصــدرت المحكمة حكمها القاضى بـ (الإفراج الفورى وبــدون ضمان)، وذلك لعدم وجــود أيــة أدلة على الاتهام وطبعا لم يقدم الادعاء إلى المحكمة تلك الصورة المزعومة التى كنت محمولا فيها على أكتاف المتظاهرين.

على أن الفضل كان لسيد مرعى فى أن أسرتى اطمأنت أولا على أنى على قيد الحياة، وأننى أودعت ســجن القلعة ثم انتقلت بعد ذلك إلى ســجن الاســتئناف، وهكذا بدأ أفراد الأسرة يزورونني ويحضرون لى الطعام مرتين كل أسبوع.

وبمجرد الإفراج عنى اتصل بى سيد مرعى ودعانى إلى فنجان شاى بمنزله فى الزمالك، وقــد كان حريصــا خلال الزيارة على أن يتأكد من أن تجربة الســجن لم تكســرنى، وقال لى إنه يعرف أن مســألة الاعتقال والســجن هذه كانت بعيدة تماما عن نشأتى، لذلك خشى أن تكون التجربة قد تركت فى نفسى جرحا غائرا قد تظل ندبته قائمة مدى الحياة – على حد قوله.

وأذكر أنه قال لى فى ذلك المســاء ونحــن نتحدث بغرفة الجلوس بمنزله: لقد اخترت طريقا كان عليك أن تدفع ضريبته، ولا أقول لك إنك كنت تســتحق الاعتقال، ولكن أقول إن الاعتقال بدون وجه حق هو أحد حقائق الحياة السياســية فى بلادنا، وعليك أن تنظر إليه على أنه تدشــين لمواقفك السياســية التى اخترتها بكامل إرادتك.. كما أنه دليل على أن الدولة تأخذك مأخذ الجد، وإلا لما التفتت إليك.

وروى لى ســيد مرعى أنه تعرض هو الآخر لدســائس وأكاذيب وقت حكم الرئيس عبد الناصــر وكان ينتظــر الاعتقال بين لحظة وأخرى بعد أن تم إبعــاده عن وزارة الزراعة عن طريق بعض مراكز القوة المغرضة، لكنه عاد مرة أخرى بعد أن سقطت كل الدعاوى الزائفة التى قصدت النيل منه.

ثم قال لى : لقد تأكدت أن ما قاله لى وزير الداخلية هو كذب وافتراء، وأنا أعلم وأنت تعلم أن الكثير مما يقال فى هذه الأحوال ليس صحيحا، لكن السياسة هى أن تتعامل مع الواقع كما هو محاولا إصلاحه إذا أردت، لكن عدم تقبل الواقع كما هو وعدم القدرة على التعامل مع سلبياته يعنى أن عليك أن تترك السياسة وتظل فى مجال الأدب فتخلق فى كتبك العالم الذى تريده، وأنت قد اخترت إلى جانب الأدب أن يكون لك موقف سياسى لا بد أنك مقتنع به وعليك إذن أن تلتزم به، إن الموقف يدخلك إلى قلب الحياة السياسية وعليك أن تتعامل مع ذلك بواقعية.

ثم أضاف: لو كان والدك رحمه الله على قيد الحياة لما قبل خيارك هذا، لكنك قد اخترت، وعليك أن تقبل خيارك على علاته.

كان سيد مرعى حنونا ودودا وبدا حريصا كل الحرص على حالتى النفسية وما عسى أن يكون قد أصابها من تلك التجربة التى لم يكن يتصور أننى سأمر بها، لكنه فى الحقيقة كان واقعيا لم يحاول أن يزيف لى الحقيقة لكى يخفف عنى واعتبر أن واجبه هو أن يبصرنى بالواقع على حقيقته، وقد فعل ذلك على أفضل ما يكون.

ولقد تذكرت كل هذا بعد ذلك بسنوات وأنا أسير فى جنازة هذا الرجل الفاضل الذى كان صاحب رؤية وكان نفوذه واسعا فى عهد السادات لكنه لم يكن بالنسبة لى إلا أبا حنونا يهرع لمعاونة أبنائه فى محنتهم محاولا القيام بدور الوالد الذى رحل.. صديق العمر كما كان يسميه..

❑❑❑

نادين جورديمر:
كل إنسان يولد مرتين!

قالــت لى أديبة جنوب إفريقيا الحائزة على جائزة نوبل إنها ولدت مرتين، المرة الأولى حــين خرجت إلى هذا العــالم عام ١٩٢٣م، والمرة الثانية حــين وجدت هويتها من خلال تبنيهــا لقضيــة الزنوج فى بلادها ومناهضتها التى لا تكل لسياســة (الأبارتايد) أو التمييز العنصرى التى سادت فى جنوب إفريقيا حتى سقوط الحكومة البيضاء هناك.

أديبــة جنوب إفريقيا نادين جورديمر الفائزة بجائــزة نوبل عام ١٩٩١م تربطها بمصر علاقة خاصة، وقد قالت لى: ســتظل لمصر دائمًا مكانة خاصة فى نفســى، فقد كانت أول دولــة أزورهــا فى حياتى خارج بلــدى، وذلك فى عام ١٩٥٤م حــين اخترت مع زوجى الراحل أن أقضى بها شهر العسل، ثم زرتها مرة ثانية وثالثة فى عامى ١٩٥٨م و١٩٩٣م، لأحتفل أنا وزوجى بعيد زواجنا.

كنا فى بداية عام ٢٠٠٥م وكنت أتحدث إليها تليفونيًا فى جوهانسبرج لأنقل إليها دعــوة وزير الثقافة الفنان فاروق حســنى لحضور معرض القاهــرة الدولى للكتاب كضيفة شرف المعرض.

محمد سلماوى يقدم نادين جورديمر لجمهور معرض الكتاب

وكانت قد جمعتنى بنادين جورديمر علاقة صداقة ممتدة من خلال لقاءات سابقة بها، لذلك فحين عرض وزير الثقافة على اللجنة العليا لمعرض القاهرة الدولى للكتاب والتى كنت عضوًا بها، استضافة شخصيات أدبية كبيرة، اقترحت أن يكون لكل دورة ضيف شرف أسوة بما هو معمول به فى المعارض العالمية وطرحت اسم نادين جورديمر لما كنت أعرفه من معزة خاصة كانت تكنها لمصر فوافق الوزير على الفور وكلفنى بتولى دعوتها.

ولقد رحبت أديبة جنوب إفريقيا على الفور بالدعوة وإن كانت قد وضعت لها شرطًا واحدًا هو أن يحدد لها موعد للقاء أديب نوبل المصرى نجيب محفوظ الذى لم تسمح ظروفه خلال زياراتها السابقة لمصر بلقائه، وقد وعدتها بتحقيق أمنيتها حيث التقت به بالفعل فى منزله لمدة زادت على الساعة.

ولقد بدأت نادين جورديمر الكتابة وهى فى سن مبكرة ونشرت لها أول قصة وهى لم تتعد الـ ١٥، أما آخر رواياتها فقد صدرت فى العام الماضى، وعرفت طوال حياتها بمكافحتها للتفرقة العنصرية التى كانت سائدة فى جنوب إفريقيا فرصدت حياتها للكتابة عنها وفضح ممارساتها البغيضة من خلال معالجة إنسانية جميلة.

وأسأل الأديبة الكبيرة: لقد ولدت فى جوهانسبرج لأب روسى مهاجر ونشأت فى مجتمع البيض، فما الذى جعلك تتبنين قضية السود فى بلادك؟

فتقول: صحيح أن والدى كان مهاجرًا، لكنى أعتبر نفسى إفريقية، فقد ولدت فى إفريقيا ولم أعرف روسيا التى جاء منها والدى، وأن تكون إفريقيًا يعنى أن تكون أسود، ليس باللون. فذلك انتماء مظهرى، إنما أن تكون أسود بالروح وبالهوية، ولذلك فقد كانت قضية السود من أبناء وطنى هى قضيتى لاتصالها الوثيق بهويتى ذاتها.

ثم تروى لى نادين جورديمر قصة مؤثرة حدثت لها فى طفولتها ففتحت عينيها على مأساة التفرقة العنصرية فى بلادها:

لقد نشأت فى عائلة برجوازية بعيدة تمامًا عن مجال الأدب والثقافة، وكان والدى يملك محلًا لبيع المجوهرات وهو يهودى أبيض من أصل روسى، لكنى كنت شغوفة منذ الصغر بالقراءة، فلم تكن المجوهرات تستهوينى كثيرًا إنما ما كان مستحوذا على اهتمامى كله كان الكتب، فقد كنت أذهب إلى المكتبة العامة فى جوهانسبرج لأقرأ لأن بيتنا لم تكن به كتب.

ثم تقول: ثم حدث ما لم أكن أتوقعه، ففى إحدى المرات وأنا ذاهبة إلى المكتبة، سمحوا لى علــى الباب بالدخول كالمعتاد، لكنى رأيتهم يمنعون ســيدة بالقوة من الدخول ولم أفهم لذلــك ســببًا وتصورت أنها ربما ســرقت إحدى الكتب من المكتبة فصــدر قرار بمنعها من الدخول ثانية، لكنى حين سألت قالوا لى إن المكتبة محظور دخولها على السود.

لم أصدق أذنى، لقد كنت واعية بوجود تفرقة عنصرية ضد الســود فى جنوب إفريقيا حتى فى هذه الســن المبكرة. لكن تلك كانت المرة الأولى التى أرى فيها الوجه القبيح لتلك الممارســات غير الإنســانية، ولما كانت المكتبة بالنســبة لى فى ذلك الوقت هى كل حياتى فقد شــعرت بقســوة قرار منع السيدة السوداء من دخولها وبالمهانة التى تعرضت لها أمامنا لا لسبب إلا لأنها أرادت أن تقرأ كتابًا.

ويتواصل شــريط ذكريات الطفولة مع أديبــة جنوب إفريقيا الكبيرة فتقول: لقد جاءت واقعــة المكتبــة مضافة إلى تجربة أخرى لا تقل عنها قســوة وقد هزتنــى كثيرًا، فقد كنت ما زلت طفلة، وكان لى مربية ســوداء كنت متعلقة بها جدًا حتى كانت بالنســبة لى بمثابة أم ثانيــة، فقــد تفانت فى رعايتى وكانــت صاحبة قلب كبير، لكن فــى أحد الأيام جاء البوليــس إلى منزلنــا يبحث عن مربيتى لأنه سمع أن هناك ســيدة ســوداء تعيش فى هذا المنزل، وأراد أن يتحقق من أنها لا تخالف القانون الخاص بالسود، وأخذ رجال البوليس يفتشــون فى أغراضها بحثًا عن المشــروبات الكحولية التى كان ممنوعًا على الزنوج تناولها أو عن أى أغراض أخرى يجرمها القانون.

وأشــعر بألم الطفلــة الصغيرة نادين وهى تروى لى كيف أنها لم تنس أبدًا هذا المشــهد القاسى والبوليس يعامل مربيتها طيبة القلب بوحشية لم تعتدها.

كانت هذه هى البداية التى دفعت بالأديبة الكبيرة لتبنى قضية أبناء وطنها من الزنوج والتى أصبحت هى القضية الرئيســية فى أعمالها جميعا فاســتحقت بذلك جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٩١م.

ثــم تســرح نادين جورديمر قليلاً وألمح فى عينيها الرماديتــين بريقًا وهى تقول: الناس عادة ما يولدون مرتين، مرة حين ينزلون من بطون أمهاتهم، وأخرى حين يجدون أنفسهم، وأنا أعتــبر أن ولادتى الثانية كانت حين اخترقت حاجــز اللون الذى فرضه على مجتمع

التفرقة العنصرية القديم فى جنوب إفريقيا.

وأقول لنادين جورديمر: هل بانتهاء سياســة التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا يمكن أن ينصرف القراء عن أعمالك الرائعة التى وقفت فيها ضد تلك السياسة؟

فتقول: أولاً مثل هذه السياسات لا تنتهى بقرار، فقد تلغى رسميًا لكنها تظل قائمة بشكل غير رسمى، وثانيًا فإن الأعمال الأدبية الكبرى تقف دائمًا ضد الظلم والاضطهاد، وللأسف فإن الظلم والاضطهاد سيظل باقيًا ما بقى الإنسان وإن تغيرت أو تنوعت أشكاله.

ولقد كان من الطبيعى أن ما جعل الأديبة البيضاء تتعاطف مع قضية المضطهدين من السود، هو نفسه ما جعلها وهى اليهودية تتعاطف مع قضية المضطهدين من الفلسطينيين، فقد سألتها بشكل مباشر عن موقفها من القضية الفلسطينية فقالت إنها وقفت أكثر من مرة ضد ما يتعرض له أبناء الشعب الفلسطينى على أيدى قوات الاحتلال الإسرائيلية، وقالت إن الظلم والاضطهاد لا يتجزآن، فإذا كنا نرفض الظلم ضد السود فلا يمكن أن نقبله ضد الفلسطينيين.

وأسألها عن الحل الذى تراه لمأساة الشعب الفلسطينى فتقول: ليس هناك من حل إلا بقيام الدولة الفلسطينية، فهذا حق أصيل للشعب الفلسطينى لا يمكن أن يقبل المساومة.

❑❑❑

فيلى برانت:
فكرت جديا فى الانتحار!

آخر مرة قابلت فيها السياسى الألمانى الكبير فيلى برانت كانت فى القاهرة فى مايو ١٩٩٠م أى قبل سنتين فقط من رحيله، كان برانت وقتها مازال رئيسا للدولية الاشتراكية، لكنه بدا كمن تقاعد منذ زمن عن الحياة السياسية التى لم تعد بالنسبة له إلا ذكريات، وقد أمضيت معه أكثر من الساعة تحدث خلالها بشكل لم أعهده فى المقابلات السابقة، وأسر إلى بأشياء لم أكن أعرفها عن حياته الخاصة.

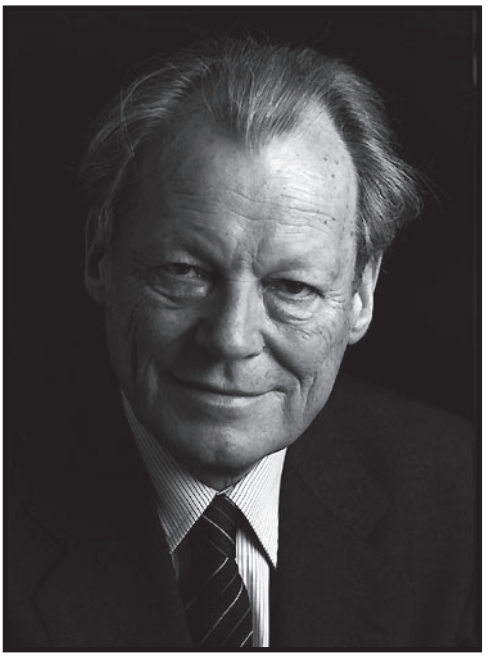

فيلى برانت

وربما كان أكثر ما صدمنى فيما قاله لى فيلى برانت فى تلك المقابلة الأخيرة هو اعترافه لى بأنه ابن غير شرعى، وأن والده لم يتزوج قط من المرأة التى أنجبته، وقال لى برانت إنه يعرف والده جيدا، وذكر لى أن اسمه هو جون موللر، وأنه كان يعمل محاسبا فى

مدينة هامبورج، لكنه لم يلتق به قط لأنه بالنسبة له لم يكن أكثر من مجرد اسم، فهو لم يسأل عن ابنه ولا حاول رؤيته، ثم قال: ومثل هذا النوع من البشر لا يدفعك للبحث عنه والسعى لمقابلته.

ولقد عرفت من برانت أيضا أن اسم فيلى برانت هذا هو اسم مستعار لجأ إليه فى بداية حياته للهروب من تعقب النازى وأن اسمه الحقيقى هو هربرت ارنست كارل فرام، وأن فرام هو اسم والدته (مارتا فرام) فهو لم يحمل اسم والده قط.

وقال لى السياسى الألمانى الكبير إنه بدأ حياته فى مكتب سمسار لبيع المراكب والسفن، لكنه كان فى البداية مهتما بالسياسة وبالشأن العام، لذلك انضم إلى الحزب الاشتراكى الديمقراطى منذ عام ١٩٣٠م ثم هرب من ألمانيا إلى النرويج عام ١٩٣٣م فرارا من الاضطهاد النازى فى ألمانيا واتخذ لنفسه اسما مستعارا هو فيلى برانت.

ثم يقول: لم يكن هذا هو الاسم الوحيد الذى استخدمته فحين زرت ألمانيا بعد ذلك بثلاث سنوات دخلتها متنكرا كطالب نرويجى وأسميت نفسى جونار جاسلاند، لكن قوات النازى الغازية اعتقلتنى بعد ذلك فى النرويج دون أن تتعرف إلى اسمى الحقيقى، ثم هربت بعد ذلك إلى السويد، وفى عام ١٩٤٠م حصلت على الجنسية النرويجية من سفارة النرويج فى استوكهولم، ولم أغادر السويد بعد ذلك إلا بعد انتهاء الحرب وهزيمة النازى عام ١٩٤٥م، وعندئذ عدت إلى ألمانيا حيث تمكنت خلال سنتين من استعادة جنسيتى الألمانية واتخذت لنفسى اسم فيلى برانت لأول مرة كاسم رسمى.

وقد تقلد برانت فى ألمانيا مناصب كثيرة واحتل مواقع متعددة كان أولها موقع عمدة برلين فى فترة عصيبة وهى فترة بناء حائط برلين الشهير الذى سقط بعد ذلك فى عام ١٩٨٩م، أما آخرها فكان بالطبع وصوله إلى المستشارية، حيث كان أحد أهم مستشارى ألمانيا الغربية فى فترة ما بعد الحرب، ولم يكن وصوله إلى هذا الموقع المرموق بالأمر السهل، فقد رشح نفسه مرتين لكنه خسر فى المرة الأولى لصالح كونراد إديناور، وفى المرة الثانية لصالح لودفيج إرهارد، لكن عام ١٩٦٦م شهد سقوط حكومة إرهارد فأقام برانت تحالفا بين الحزب الاشتراكى الديمقراطى الذى كان يرأسه وحزب كونراد إديناور اليمينى، وهو التحالف الذى حالفه الحظ فى النهاية فى الانتخابات، فكان لبرانت منصب نائب المستشار ووزير الخارجية، ثم نجح أخيرا فى أن يصبح مستشارا لأول مرة عام ١٩٦٩م، وربما كانت أهم إنجازات فيلى برانت كمستشار لألمانيا الغربية تتمثل فى سياسة التقارب

مع الشــرق والتى عرفت باســم (أوســت بولتيك)، أى السياسة الشــرقية والتى نجح من خلالها فى تحسين علاقات بلاده مع الاتحاد السوفيتى وبولندا وألمانيا الشرقية، وقد كان لتلك السياســة الخلافية أنصار كثيرون لكنها كانت لها أيضا من انتقدوها بضراوة، والذين اتهمــوا برانــت صراحة بالخيانــة العظمى، لكنه فاز بعد ذلك بجائــزة نوبل عام ١٩٧١م اعتمــادا على تلك السياســة التى يرى المحللون الآن أنهــا كانت تمثل بداية الوحدة التى قامت بعد ذلك بين شطرى ألمانيا إثر سقوط الحائط الذى كان يفصل بينهما.

وقد اكتســبت سياسات برانت الجديدة شعبية كبيرة خاصة بين جيل الشباب الرافض للمجتمع القديم، وكذلك بين المثقفين المستنيرين والذى كان فى طليعتهم كاتب ألمانيا الكبير الحائز على جائزة نوبل فيما بعد جونتر جراس.

ولقد ارتبط اسم جونتر جراس بفيلى برانت ولم يكن سرا أن الأديب الألمانى الكبير كان يكتــب لبرانت خطبه الرسمية فى تلك الفترة، ويصــف لى برانت هذه العلاقة فيقول إنها كانت علاقة تقدير متبادل، ثم يقول: لقد كنت معجبا بكتابات جونتر جراس الأدبية حتى قبل أن ألقاه، فى الوقت الذى كان هو معجبا بالسياسة الجديدة التى كنت أنتهجها، وأنا دائم العودة لقراءة كتب جراس حتى الآن.

كنــا فــى جناح الفندق الكبــير المطل على النيل والذى كان ينزل بــه برانت، وكنا قد أمضينا ما يقرب من الســاعة فى الحديث فى أمور كثيرة شــخصية وعامة وسمحت لنفسى أن أقــول له مازحــا وماكرا أيضا: تقول إنك تحب قراءة ما يكتبه جونتر جراس، والبعض يقول إنك حين كنت مستشارا لألمانيا كنت تستمتع بقراءة كلماته على الناس.

فضحــك فيلى برانت وقد فهم مقصدى، ثم أجاب بذكاء شــديد: لكنى أفضل كتابات جراس التى لا يمليها عليه أحد! قاصدا أنه إذا كان جراس يكتب له خطبه فإنه هو الذى كان يمليها عليه.

لكن النجاح لا يدوم، وقد كانت ســنة ١٩٧٣م هى التى شــهدت النهاية، حيث ثبت أن أحد الأعوان المقربين لبرانت وهو جونتر جيوم يعمل جاسوسا لحساب ألمانيا الشرقية، وفــى أبريل من ذلك العــام تم إلقاء القبض على جيوم، وتعــرض برانت لانتقادات كثيرة وفقدت سياســته الخاصة بالتقارب مع الشــرق بريقها وبدأ الجانب المعادى لبرانت حملة ضارية ضده وصلت إلى حد التعرض لحياته الخاصة ونشر تفاصيل علاقات أقامها مع بعض بنات الهوى المحترفات، ثم جاءت أزمة البترول الشهيرة فى ذلك العام فأصابت الاقتصاد الألمانى بضربة قوية.

وقال لى برانت إن تلك كانت أسوأ فترة فى حياته واعترف لى بأنه فكر جديا فى ذلك الوقت فى الانتحار، وأنه كتب الخطاب الذى كان سيتركه بعد انتحاره، لكنه فى اللحظة الأخيرة قرر أن يتحمل مسئولية فضيحة جيوم ويقدم استقالته وهو ما فعله فى مايو ١٩٧٤م فأنهى بذلك مرحلة من أهم مراحل تاريخ ألمانيا فى فترة ما بعد الحرب.

وأسـأل برانت عن سـبب عدوله عن الانتحار، فيصمت قليلا ثم يقول: هى أسـباب كثيرة أولها أننى خشـيت أن يبدو ذلك هروبا من المواجهة، لكنى أعترف لك أن العامل الحاسـم فى تراجعى هو أننى لم أشـأ أن ترتبط نهايتى بنهاية هتلر الذى هرب هو الآخر من هزيمته بالانتحار.

ولقد انتخب برانت بعد ذلك رئيسا للدولية الاشتراكية، لكنه كان يشعر بلا شك أن هذا موقع شرفى بعد أن فقد مصداقيته السياسية فى بلاده لأسباب لم يكن مسئولا عنها، وحين قابلته قبل سـنتين من رحيله تحدث معى بحماس عن الدولية الاشـتراكية ووصفها بأنها (حزب دولى من أجل السـلام) لكنى كنت أشعر أن حياته السياسية كانت وراء ظهره وأن دوره الحقيقى كان قد انتهى منذ عام ١٩٧٤م، ولقد شـاهدت فى عام ٢٠٠٣م فيلمًا ألمانيًا شـهيرا كان يحمل عنوان (فى ظلال السـلطة) تركز موضوعه حول فضيحة جيوم وعجبت أن الممثل الذى قام بدور جيوم هو ماتياس برانت ابن المستشـار السـابق الذى قضى جيوم على حياته السياسية.

وأذكر أن بعض الصحف الألمانية تعجبت فى ذلك الوقت من أن يقوم ابن برانت بهذا الدور، حيث كان ماتياس نفسـه هو الذى كشـف لوالده أثناء قيام عائلتى برانت وجيوم برحلة إلى النرويج أن جونتر جيوم وزوجته يمضيان الليل كله فى كتابه التقارير على الآلة الكاتبة بغرفتهما!!

❑❑❑

عمر الشريف:
لماذا لم يعد الرجال يخشوننى؟!

كنا نحتفل بعيد ميلاد عمر الشريف الـ ٧٤، وقلت له: إن نصف رجال العالم يحسدونك على مظهرك الجذاب حتى بعد أن تخطيت السبعين فقال لكنى أدركت أخيراً أننى قد شخت، وقد اكتشفت أن الأزواج لم يعودوا يتململون حين تتحدث إلى زوجاتهم، والرجال لم يعودوا يغارون حين تبدى النساء إعجابها بى، إن اطمئنان الرجال الزائد هذا يؤكد لى إننى لم أعد خطرا على أحد، وهذا شعور لم أعرفه فى شبابى.

كان عمر الشريف فى زيارة للقاهرة فى شتاء عام ٢٠٠٥م وقد دعوته على العشاء فى لقاء حميم مع مجموعة من الأصدقاء المشتركين، وبعد العشاء أخبرنى عمر أن عيد ميلاده يحل فى نفس ذلك الأسبوع، فقلت له: لماذا لم تخبرنى بذلك مسبقا حتى نتمكن من الاحتفال بك كما يجب، قال: أرجوك بلاش فضائح، أنا أتحدث إليك بشكل شخصى، وبالنسبة لى فإن هذا العشاء بين الأصدقاء فى منزلك هو أفضل احتفال بعيد ميلادى.

لكن الفضيحة التى كان يخشاها عمر الشريف حدثت وسمع البعض حديثه لى وصار عيد ميلاد عمر الشريف هو حديث السهرة وبالطبع وجه إليه البعض السؤال المتوقع وهو: كم عمرك؟

وقد كان عمر صريحا وقال بلا تردد: أنا باين على خلاص عجزت! وبدا حديثه غريبا وغير متوقع، فكلمة (شيخوخة) واسم (عمر الشريف) لم يعتد أحد أن يقترنا ببعضهما البعض، لكن عمر كان هو الذى ربط بينهما، ووسط دهشتنا قال إنه لم يقلق فى حياته على شبابه مثلما بدأ يقلق فى السنوات الأخيرة حين وجد الرجال يظهرون له الكثير من الود غير المعتاد ولم يعودوا ينظرون إليه كغريم ينبغى الحذر منه.

وقال عمر: فى البداية تصورت ذلك نوعا من اللطف الشخصى من جانب بعض الرجال، لكنى مع الوقت اكتشفت أنها ليست حالات فردية بل هى اتجاه عام أصبحت أصادفه طوال الوقت، هنا أدركت أننى لابد وصلت إلى سن الشيخوخة!

وتذكرت عمر الشريف فى مدرستنا القديمة (فيكتوريا كولدج) حيث كان نجما منذ الصغر، كان فى سنواته النهائية بالمدرسة وكنت مازلت فى بداية التحاقى بالمرحلة

الابتدائيــة، وأذكر جيدا أنه كان يمثل دور هاملت فى رائعة شكســبير المعروفة والتى كنا ندرسها فى المدرسة فى نسختها المبسطة، وهكذا ذهب الفصل بأكمله لحضور حفل نهاية العام الدراسى لمشاهدة عرض مسرحية (هاملت) المقررة علينا.

ثم شــاءت الظروف بعد ذلك أن ســكن عمر الشريف فى عمارة (ليبون) بالزمالك فكنت ألقاه كثيرا فى مصعد العمارة، حيث كان يسكن الدور الـ ١٢ وكان منزل أسرتى فى الدور الـ٩، كان عمر قد أصبح فى ذلك الوقت نجما ســينمائيا كبيرا وتزوج من ســيدة الشاشــة العربية فاتن حمامة وجاء يسكن معها فى شقتها فأصبحنا جيرانا.

كانت جيرتى لعمر الشــريف هى الســبب فى تعرفى إليه، ففى المدرسة لم نتبادل أى حديث ولم يكن بالنســبة لى إلا ذلك الطالب الوســيم الذى شاهدته على مسرح المدرسة فى دور هاملــت، أمــا فى العمــارة فقد كنا نلتقى كثيرا وإن كانــت أحاديثنا لا تدور إلا حول الأمــور العابرة، واذكر أنــه منحنى أكثر من مرة تذاكر لحضور العرض الأول لبعض الأفلام التى كان يقوم ببطولتها.

ومن الغريب أن علاقتى بعمر الشــريف لم تتوطد إلا بعد أن غادر مصر فى الســتينيات إلى النجوميــة العالميــة، فقد التقينا أكثر من مرة فى الخارج وكان عمر ســعيدا فى كل مرة أن يلتقــى بجــار قديم، فكنا نمضى وقتا طويلا فى الحديث مما قرب بيننا بشــكل لم يكن قائما لا فى المدرسة ولا فى مصعد عمارتنا القديمة.

وأذكر أننى فى بداية السبعينيات كنت فى زيارة لفرنسا لمقابلة جاك شيراك الذى كان قد عين لأول مرة رئيسا للوزراء تحت رئاسة الرئيس الراحل جورج بومبيدو، وكانت هناك انتخابات بلدية فى ذلك الوقت انشــغل بها شيراك فى ترتيبات خاصة بالحزب الديجولى الذى كان يترأس فيه جناح الشباب فتأجل موعدنا لأيام وأبلغنى قصر الماتينيون حيث مقر رئاســة الوزراء أن عمدة مدينة دوفيل الســاحلية يدعوننى لقضاء بضعة أيام فى المدينة إلى حين حلول موعدى مع رئيس الوزراء.

ورحبــت أنا وزوجتى بالدعــوة ووصلنا إلى مدينة دوفيل ذات التاريخ العريق والتى كان يقضى فيها الملك السابق فاروق فترة الصيف، لنجد أن المدينة كانت تشهد فى ذات المساء افتتاح مســابقة (البريدج) الســنوية التى تجرى تحت رعاية زوجة حاكم إمارة لشتنشتاين وأننــى أنا وزوجتى مدعوان لحضور حفل العشــاء المقام بهذه المناســبة علــى مائدة عمدة المدينة، وفى وجود النجم العالمى عمر الشريف.

ولم تسعد زوجتى كثيرا بهذا الخبر وقالت لى إنها لن تتمكن من الذهاب لأنها لم تكن قد تسوقت بعد حيث كنا قد وصلنا لتونا إلى فرنسا، ومن ثم فليس معها الملابس المناسبة لمثل هذه المناسبة.

ولم أكن أعرف أن عمر الشريف هو جارى للمرة الثانية فى الفندق الذى كنا ننزل به، وفى بهو الفندق قابلته مصادفة ففرح حين علم أننا سنحضر الحفل، لكنى قلت له إن زوجتى لن تتمكن من الحضور لأنه ليس هناك وقت لكى تشترى فستان سهرة يليق بهذا الحفل الذى فوجئنا به.

فضحك عمر ملء شدقيه وقال: فستان سهرة إيه؟ دى موضة قديمة!

ثم شرح لى أن الوحيدين الذين يلبسون الآن ملابس السهرة فى تلك المناسبات هم الشخصيات غير المعروفة التى لا تريد أن ينتقدها أحد أو يمنعها من الدخول، أما المشاهير فهم يلبسون أى شىء وتلك من بين المظاهر الجديدة للنجومية، وتسمى: Negligé Snob

قلت له: كيف ذلك؟! ألم ترتد أنت، (بابيون) مثلاً؟ قال لى: ولا حتى (كرافته)! قلت: ربما لأنك عمر الشريف، فقال وأنت زائر رسمى مهم، بل إنك ضيف رئيس الوزراء شخصيا وهو ما دعا العمدة لدعوتك.

ثم قال: أين نازلى وأنا سأقنعها بما أقول.

وطبعا تمكن عمر الشريف من إقناع زوجتى بالموضوع وتمكنت هى من استخدام قدرتها كفنانة تشكيلية فى التفنن فى توليف رداء نال إعجاب الكثير ممن قابلناهم فى خلال السهرة، وقلت لعمر: إن المرء يجب أن يحترس منك فأنت تستطيع أن تقنع أى امرأة بأى شىء.

ولقد ذكرت عمر الشريف ونحن نحتفل بعيد ميلاده فى عام ٢٠٠٥م بهذه الواقعة، فقال لى: كان ذلك منذ ثلاثين سنة، أما الآن فلم أعد أستطيع إقناع أى امرأة بأى شىء، لا بما عليها أن ترتديه ولا بما عليها أن تخلعه!!

❑❑❑

ولى عهد الصرب:
معاملة أوربا لنا غير لائقة!

كانت تلك هى المرة الأولى التى يزور فيها الأمير الكسندر الثانى ولى عهد الصرب البيت الذى عاش فيه والده الملك بيتر الثانى فى مصر بعد أن ترك بلاده على أثر الاحتلال النازى عام ١٩٤١م، وبدت اللحظة مفعمة بالمشاعر الإنسانية والوطنية المؤثرة فى تلك السهرة التى قضيتهـا مـع ولى العهد وزوجته الأميرة كاترينا فى ذلك المنـزل الذى أصبح بعد ذلك مقرا لإقامة السفير اليوجوسلافى بالقاهرة، ثم سفير الصرب بعد إلغاء يوجوسلافيا.

الأمير الكسندر الثانى ولى عهد الصرب

فى إبريل ١٩٤١م دخلت قوات هتلر يوجوسـلافيا واحتلتها مما دعا الملك الشاب بيتر الثانى لمغادرة البلاد مع أسرته والحكومة ذاهبا إلى اليونان ومنها إلى القدس، ثم استقر فى مصـر لبعض الوقت إلى أن تمكن من الاتفاق مع الحكومة البريطانية على تشـكيل حكومة المنفى فى لندن. وعند وصول الملك الشاب الكسندر إلى القاهرة قام بشراء فيلا بيضاء جميلة بشـارع المنصور محمد فى القطاع الشـمالى من جزيرة الزمالك الهادئة. كانت مملوكة لأسرة تكلا المصرية لتصبح مقرا لإقامته فى مصر والتى لم يكن يعرف كم ستسـتغرق لكنه خلال بضعة أشـهر توصل إلى اتفاق مع حكومة ونسـتون تشرشـل والحكومة اليوجوسلافية على أن تكون لندن هى مقر إقامته وبعد أربع سـنوات رزق الملك بيتر فى يوليو ١٩٤٥م بمولوده

الأول والوحيد الأمير الكسندر ولى العهد وذلك أثناء إقامته بفندق كلاريدج الشهير فى قلب العاصمة البريطانية، وعلى الفور أصدرت حكومة تشرشل قرارا بأن يعتبر الجناح ٢١٢ بفندق كلاريدج حيث ولد ولى العهد أرضا يوجوسلافية حتى يكون ولى العهد قد ولد على أرض الوطن وليس فى المنفى مما قد يسقط عنه حق العرش.

وأسأل ولى عهد الصرب عن لقبه الملكى فيشرح لى أنه وفق الدستور فى بلاده فإن ولى العهد يصبح ملكا بمجرد وفاة الملك وقال إن والده الراحل الملك بيتر الثانى لم يتنازل عن العرش على الإطلاق، لكن الأمير يفضل لقب ولى العهد فى الوقت الحالى.

على أن الأمير الكسندر ليس من هؤلاء الملوك المخلوعين الذين يجلسون فى انتظار تلبية مطالبتهم بالعرش، وإنما هو عنصر فعال ومؤثر فى سياسة بلاده وقد كان له دور كبير فى ثورة ٥ أكتوبر ٢٠٠٠م فى الصرب والتى أسقطت الحكم السابق وأصبح الشعب ينظر إليه باعتباره قطبا موحدا للبلاد فى مرحلة ما بعد الحكم الدكتاتورى لسلوبودان ميلوسفتش فقد استطاع ولى العهد توحيد مختلف مجموعات المعارضة لأول مرة حين دعاهم جميعا باسم التاج لاجتماع فى بودابست لإعادة الحياة الديموقراطية إلى الصرب وكان ذلك فى عام ١٩٩٩م ولم تكد تمضى السنة حتى قامت الثورة وخلعت الحكم الشيوعى السابق، وقد أعقب ذلك الاجتماع الأول باجتماعات تالية عقدها الأمير الكسندر مع فصائل المعارضة فى البوسنة فى يناير ٢٠٠٠م ثم فى إبريل فى أثينا فى محاولة لإرساء قواعد الديموقراطية فى الصرب مرة أخرى.

ولقد تم السماح لولى العهد بالعودة إلى البلاد لأول مرة منذ دخول قوات هتلر وخروج والده وتم منحه الحق فى الإقامة فى القصر الملكى فى بلجراد، مما يعد إقرارا بحقه الشرعى فى اللقب الذى يحمله والذى أصبح هو لقبه الرسمى فى البلاد.

قلت للأمير: لقد سمعنا أصواتا كثيرة فى بلادكم تطالب بمنحك لقب الملك بحيث تصبح رمزا لوحدة البلاد كما حدث مثلا فى أسبانيا بعد فرانكو، فمتى يحدث ذلك، خاصة وأنكم تمارسون مسئوليات هذا المنصب بالفعل فى الحياة السياسية للصرب، والمجموعات

السياسية أصبحت تحصل على شعبيتها من مباركة ولى العهد لها.

قال: الحقيقة أننى أفضل أن أتريث قليلا فى هذا الأمر، فالبلاد ما زال أمامها شوط طويل فى التغلب على المشاكل السياسية، لقد تقدمنا اقتصاديا بشكل ملحوظ بعد سقوط النظام الشيوعى السابق، لكننا فى المجال السياسى ما زالت أمامنا مشكلة كوسوفو مثلا التى يجب أن تحل ولا يمكن أن نتركها هكذا ما بين المطالبين بانفصالها والذين يرونها جزءا لا يتجزأ من التراب الوطنى.

قلت: إن من سيتخذ قرار انفصال كوسوفو استجابة لمطلبهم الدائم لن يكون هو السياسى المفضل لدى الناس فى هذه المرحلة، فهل تنتظرون أن يتم حل هذه المشكلة قبل أن تقبلوا اعتلاء العرش؟

قال فى صدق: أنا لا أنتظر شيئا فأنا أعمل جاهدا مع الآخرين فى محاولة للتوصل إلى تسوية لهذه المشكلة المزمنة وأشعر أن هذا واجبى الذى ينتظره منى الناس.

قلت: وماذا عن الاتحاد الأوربى الذى يرفض عضويتكم حتى الآن بينما قبل دولا أخرى كانت أكثر خضوعا للاتحاد السوفيتى وأكثر التزاما بنظامه السياسى والاقتصادى من يوجوسلافيا؟

قال: هو وضع غريب بلا شك فالحصار الأوربى المفروض على الصرب لا مبرر له، وأبناء وطنى الذين كانوا يتمتعون بحرية التنقل داخل أوربا فى ظل النظام الشمولى القديم أصبحوا الآن ينتظرون فى صفوف طويلة خارج السفارات الأوربية للحصول على تأشيرة الدخول، وهذا وضع غير لائق. وكان ولى عهد الصرب فى زيارة غير رسمية لمصر مع زوجته اليونانية الأميرة كاترينا وهى زوجته الثانية والتى قامت بجمع تبرعات مالية كبيرة لصالح دير سانت كاترين بجنوب سيناء الذى كانت قد زارته من قبل ووجدت أنه بحاجة لدعم يسمح له بالحفاظ على مخطوطاته النادرة فجمعت عددا كبيرا من كبار رجال الأعمال الذين قاموا برحلة إلى الدير على متن يخت توراما الفاخر وهو مملوك للمليونير اليونانى لاتسيس، وقد دفع كل من ركاب اليخت مبلغا للقيام بهذا الرحلة بلغ مجموعه حوالى ١٠٠ ألف يورو

أى ما يقرب من ٨٠٠ ألف جنيه ذهبت كلها إلى الدير حيث وفر لاتسيس اليخت بكامل خدماته بالمجان تبرعا منه، وتصف لى الأميرة كاترينا شعور زوجها عندما دخل القصر الملكى فى بلجراد وأخذ يقول: هنا لابد أن والدى فعل هذا أو ذاك، وحين نام لأول مرة فى السرير الذى كان لوالده كان منفعلا للغاية وأسألها: لقد رأيت بنفسى قبر دافوريانكا باونوفيتش، عشيقة الرئيس الراحل تيتو فى أرض القصر الملكى الأبيض فى بلجراد فهل ما زال القبر هناك بعد عودتكم للقصر؟

قالت: لقد كانت نهاية باونوفيتش مأساوية ونحن لا نريد أن ننبش الماضى ولا محاسبة الموتى، لذلك فإن أقاربها وحدهم هم الذين يملكون الحق فى نقل رفاتها.

وجاء السفير وحرمه ليصحبا ولى العهد وزوجته الأميرة فى جولة فى مختلف أنحاء المنزل الذى عاش به والده الملك بيتر حين احتضنته مصر لبعض الوقت قبل أن يستقر فى لندن حيث أثمرت جهوده وجهود ابنه من بعده فى عودة نظام الديموقراطية الدستورية مرة أخرى إلى أراضى الصرب بعد ما يزيد على نصف قرن من الزمان.

❑❑❑

ماكس جاكوبسون:
العـرب لا يـريـدوننى!

كانت المنافسة على أشدها بين المرشحين لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة وكان أبرزهم هم كورت فالدهايم مندوب النمسا الدائم وماكس جاكوبسون مندوب فنلندا وصدر الدين خان وغيرهم، وكنت أكثر ميلا لجاكوبسون الذى كان يتمتع بشخصية قيادية قوية فى وقت كانت المنظمة الدولية تتنازعها الصراعات بين القوى الكبرى فى مجلس الأمن مما كان يشل حركتها ويحول دون توصلها إلى اتفاق فى القضايا الدولية.

كنت فى الأمم المتحدة بنيويورك أغطى السباق الذى كان يجرى على أشده لانتخاب سكرتير عام جديد للمنظمة الدولية، وفى هذا الإطار فقد أقمت علاقات بجميع المرشحين لهذا المنصب وبحثت فرص فوز كل منهم، كنا فى خريف عام ١٩٧١م وكان السكرتير العام فى ذلك الوقت هو يو ثانت من بورما والذى أعلن أنه لن يجدد فترة رئاسته بناء على نصيحة أطبائه، وهكذا بدأ الصراع المحموم بين مختلف الدول لشغل هذا المنصب الذى يعتبر أرفع منصب دبلوماسى فى العالم.

ولقد التقيت جميع المرشحين وتحاورت معهم فى محاولة للتعرف إلى رؤية كل منهم للمنظمة الدولية التى كانت تمر بفترة حرجة فى تاريخها اتسمت بالصراعات المتعددة بين القوى الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن، فالصين على سبيل المثال كانت قد حصلت لأول مرة على عضويتها الدائمة فى المجلس بعد أن تم إخراج الصين الوطنية. كما كانت تسمى، وكانت تسعى فى كل مواقفها إلى معارضة الاتحاد السوفيتى فإذا اعترض الاتحاد السوفيتى على قرار وافقت عليه الصين وإذا وافق على آخر استخدمت الصين حق الاعتراض (الفيتو) لوقفه، ومن ناحية أخرى كانت الحرب الباردة مازالت قائمة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وقد ساهم ذلك كله فى شل مجلس الأمن حتى أنه لم يستطع اتخاذ قرار لوقف الحرب الدائرة بين الهند وباكستان فى ذلك الوقت، ولقد شاهدت بنفسى ذو الفقار على بوتو رئيس الوزراء الباكستانى وهو يقذف بأوراقه فى وجه أعضاء المجلس ويخرج من الجلسة غاضبا والدموع فى عينيه قائلا إن الأرواح تزهق والبشر يموتون فى كل لحظة ومجلس الأمن عاجز عن إصدار قرار لوقف القتال.

كل ذلك جعلنى أقتنع بأن ماكس جاكوبسون هو القادر على قيادة المنظمة الدولية بشكل حـازم بحيث يفرض على أعضائها اتخاذ القرارات الحيوية التى كانت مطلوبة والبعد عن الصراعات السياسية التى تفشت فى الأيام الأخيرة لإدارة يو ثانت المريض.

ولقـد انعكـس الصراع بين الدول الكبرى على الصراع بين مختلف المرشـحين لمنصب السكرتير العام، لكن ما أن اقتربت دورة الأمم المتحدة من نهايتها حتى انحصرت المنافسة بين اثنين هما كورت فالدهايم وماكس جاكوبسـون وكانت علاقتى بفالدهايم وثيقة حيث كان إنسـانا فاضـلا على قدر كبير من الرقى، وكنا كثيرا مـا نتقابل فى صالون المندوبين delegates lounge أو نتناول الغداء معا فى مطعم الأمم المتحدة الشـهير، لكن قناعتى كانت بالمندوب الفنلندى ماكس جاكوبسـون الذى وجـدت فيه الكثير من خصائص داج هامرشـولد السـكرتير العام الأسـبق الذى خطى بالمنظمة الدولية خطوات كبيرة إلى الأمام بينمـا كان فالدهايـم مثالا لدبلوماسـية القرن الـ ١٩ الهادئة والتى عـادة ما يطلق عليها تعبير Tip-toe diplomacy وبينما كانت مقابلاتى لفالدهايم تجرى فى إطار اجتماعى حيث كان يدعونى على الغداء أو تناول الشـاى فقد جرت مقابلاتى كلها مع جاكوبسـون فى مكتبه بمقر الوفد الفنلندى، وفى إحدى هذه المرات فاجأنى جاكوبسـون بالقول بأنه اكتشـف أنه لن ينجح لأن الاتحاد السـوفيتى سيسـتخدم (الفيتو) إذا طرح اسمه، وقال لى إنـه علـم بذلك بشـكل مؤكد وأن حكومـة فنلندا نصحت بعدم ترشـيحه حتى لا يتم الاعتراض عليه، وسألته عن سبب اعتراض الاتحاد السوفيتى عليه فصمت قليلا ثم قال: أنتم السـبب، فقد أخبرنا الاتحاد السوفيتى أنه سيعترض على ترشيحى نزولا على رغبة حلفائه العرب الذين يرفضوننى لأن والدتى يهودية، وأبديت لجاكوبسـون دهشـتى مما قال وقلت له إننى لم أسمع بتلك القصة من قبل لكنى سأبحث فيها برغم أننى أكاد أكون متأكدا من عدم صحتها.

وكان مصدرى الأول فى التحقق مما رواه لى المرشـح الفنلندى هو السـيد/ محمود رياض وزير خارجية مصر آنذاك والذى كان موجودا فى نيويورك لحضور مناقشـة قضية الشـرق الأوسـط، ومثلما أبديت دهشتى لجاكوبسون فقد أبدى محمود رياض دهشته لى، بل طلب منى أن أؤكد لجاكوبسون أن العرب ليس لديهم اعتراض عليه وأنهم لم يطلبوا من الاتحاد السوفيتى استخدام الفيتو ضده.

وواصلت بحثى الصحفى فى هذا الموضوع إلى أن توصلت إلى أن سبب عداء الاتحاد السوفيتى لجاكوبسون لا علاقة له بالعرب، فقد كان جاكوبسون يعمل صحفيا وقت الحرب بين الاتحاد السوفيتى وفنلندا وقد قام بعد انتهاء الحرب بإصدار كتاب عنها وجدت فيه موسكو ما بدا لها أنه عداء للاتحاد السوفيتى لذا فلم تكن على استعداد لأن توافق على أن يتولى إدارة الأمم المتحدة فى وقت كانت الولايات المتحدة والصين يناصبانها العداء.

وذهبت على الفور إلى جاكوبسون وأطلعته على نتيجة بحثى الذى استغرق عدة أيام ناقلا له رسالة محمود رياض بأن العرب لا اعتراض لهم عليه، وقلت له إن الاتحاد السوفيتى يستخدم قصة والدته اليهودية كتكئة كى يبرر رفضه له والذى أوضحت له سببه.

وشكرنى جاكوبسون كثيرا على ذلك قائلا إن الصورة الآن اتضحت أمامه وإن كان قد أخبرنى أنه سيتحقق من ذلك بنفسه أيضا.

ولم أعرف ما تم بعد ذلك وهل تأكد لجاكوبسون ما رويته له أو لا، كل ما أعرفه أن مجلس الأمن اختار فالدهايم كما كان متوقعا والذى أعطانى أول حديث صحفى أجراه بعد تعيينه، وأن كبير الدبلوماسيين الفنلنديين ماكس جاكوبسون ألف بعد تقاعده كتابا عن سنواته فى الأمم المتحدة أسماه (الدور الـ ٣٨) The 38th. Floor نسبة إلى الدور الذى يقع فيه مكتب السكرتير العام بمبنى الأمم المتحدة فى نيويورك وفى هذا الكتاب روى جاكوبسون تلك الواقعة وقال إنه سيظل مدينا للصحفى المصرى الشاب محمد سلماوى الذى أطلعه على تلك الحقيقة التى كانت خافية عليه.

❑❑❑

إريك إيمانويل شميت:
وجدت الله فى صحراء الجزائر!

علاقة غريبة تلك التى جمعت بين أحد أهم الكتاب الفرنسيين فى الوقت الحالى وهو إريك إيمانويل شميت، والإسلام، فقد كتب سلسلة روايات يدور موضوع كل منها حول أحد الأديان السماوية، لكن كتابه (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) هو الذى أثار الاهتمام حيث ترجم إلى معظم لغات العالم ثم تحول إلى فيلم سينمائى بطولة عمر الشريف الذى حصل فيه على جائزة (سيزار) لأفضل ممثل.

إريك إيمانويل شميت

يعتبر إريك إيمانويل شميت أحد أهم الكتاب الروائيين فى فرنسا الآن، وقد ذاع صيته برواية (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) التى تحولت إلى فيلم سينمائى قام ببطولته عمر الشريف، وهى واحدة من ثلاث روايات للكاتب صدرت بعنوان (سلسلة غير المرئى) كل منها يعالج أحد الأديان السماوية، وقد تميزت رواية (مسيو إبراهيم) بأنها قدمت صورة سمحة للإسلام تختلف كثيرا عن تلك الصورة المشوهة التى تطالعنا فى الغرب فى الوقت الحالى.

من أجل ذلك قرر اتحاد كتاب مصر دعوة شميت كضيف شرف المؤتمر الذى أقامه الاتحاد عام ٢٠٠٥م احتفالا بالذكرى الـ٣٠ لإنشائه، وبهذه المناسبة قمت بترجمة رواية شميت الجميلة (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) لأول مرة إلى اللغة العربية بعد أن كانت قد ترجمت إلى أكثر من ٢٠ لغة إلى اللغات الحية وباعت ملايين النسخ فقرأها سكان الأرض جميعا فيما عدا قراء العربية.

وقد تصور بعض القراء فى مصر حين قرأوا رواية شميت أنه اعتنق الإسلام بسبب ما وجدوه من تعاطف ملحوظ مع ديننا الحنيف، وحين سألت شميت عن علاقته بالإسلام

قال لى وعلى وجهه ابتسامة هادئة (إنى أكاد أكون مسلما، فقد قرأت كثيرا فى الإسلام وخاصة فى الاتجاه الصوفى، لكنى لا أستطيع أن أدَّعى أننى فقيه فيه، فقد كانت معظم قراءاتى أدبية وليست لاهوتية، وقد تأثرت كثيرا على سبيل المثال بجلال الدين الرومى الذى يقدم فى شعره صورة للإسلام غاية فى السماحة والسمو الإنسانى.

وأضاف شميت الذى بدت عليه كل معالم الرقة والإنسانية والتواضع برغم أنه الحاصل على أعلى الدرجات العلمية فى الفلسفة وعلى عدد كبير من الجوائز على أعماله الأدبية: إن حبى للإسلام مصدره الإطلاع والقراءة ليس أكثر، فقد كان الشعر الصوفى هو مدخلى إلى الإسلام الذى دلفت إلى جناته الغناء بصحبة جلال الدين الرومى وهناك تعرفت إلى جمال الإسلام، فأنا أهتم أساسا بالجمال الداخلى ولا تعنينى كثيرا المظاهر الخارجية لذلك كان من السهل على أن أنفذ وراء المظهر السلبى للإسلام الذى ينتشر الآن فى العالم إلى حقيقته الداخلية، ولقد أفضى بى ذلك إلى قراءة القرآن فوجدته كتابا أدبيا معجزا، ولقد أردت أن أنقل هذه المعرفة التى توصلت إليها إلى القراء فى الغرب، وأن أقول لهم المعرفة بالإسلام لا تستمد من أحداث الإرهاب التى تنشرها الصحف وإنما من التعاليم السامية المدونة فى كتابه العظيم وفى كتابات أتباعه من المفكرين والكتاب والشعراء.

ثم قال: لو أننى كنت مسلما لما صدقنى أحد فى الغرب لأن شهادتى فى هذه الحالة ستكون مجروحة، أما ما أقدمه فى (زهور القرآن) فهى شهادة موضوعية لأنها لا تأتى من مسلم.

قلت: وأين تقف من الأديان؟

قال: لقد نشأت نشأة بعيدة تماما عن الدين، فقد كان والداى ملحدين ولم يحرصا كثيرا على تعليم أبنائهم التعاليم الدينية.

قلت: لكن شخصيتك تتسم بقدر كبير من الروحانية تذكرنا بطبيعة الرهبان، فأنت إنسان هادىء وزاهد تميل إلى الصمت والتأمل.

قال: هذا صحيح، أنا شخص روحانى، أو هكذا أصبحت، فقد تحولت من النقيض إلى النقيض، وبعد أن نشأت ملحدا أصبحت الآن مؤمنا.

على أنى لم أكتب هذه الرواية من أجل دعوة الناس إلى الإسلام ولكن لكى أحارب التعصب الموجود فى العالم الآن.. إن رواية (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) كتبت أولا كمسرحية وقد كانت بعض الأيدى تمتد كل يوم لتنزع (أفيشات) العرض من محطات المترو أو لطمس عبارة

(زهور القرآن) من الإعلان، لكنى كنت أصر على ضرورة استبدالها بـ(أفيشات) جديدة، أما على الجانب الآخر فكان هناك من يؤمنون برسالة المسرحية والذين كانوا يقبلون على مشاهدتها كل ليلة حتى إنها حققت نجاحا كبيرا وامتد عرضها ثلاث سنوات متتالية، وهو ما دفعنى لكتابتها كرواية قبل أن تتحول إلى فيلم سينمائى.

وسألت إريك إيمانويل شميت: وكيف تحولت من الإلحاد إلى الإيمان؟

قال: كانت تلك تجربة هزتنى هزا وغيرت مجرى حياتى فقد كنت فى زيارة للجزائر، وكنت أقوم برحلة فى الصحراء التى أعشقها، وقد حدث أن ضللت طريقى وسط رمال الصحراء وظللت أمشى فى كل الاتجاهات دون أن أستطيع العودة، وبعد فترة أدركت أننى لن أعود مرة أخرى فاستلقيت على ظهرى فوق الرمال وأخذت أنظر إلى السماء فى انتظار الموت، وهنا حدث الاتصال وشعرت بعلاقة بينى وبين الخالق وأيقنت أننى كنت مؤمنا فى قرارة نفسى دون أن أعرف وأن تلك الحادثة كان الغرض منها هو إظهار هذا الإيمان، لقد وجدت الله فى صحراء الجزائر.

وقد تحدث شميت عن مصر التى كان يزورها لأول مرة فقال إنها هى الأمة التى توصلت إلى تلك الحقيقة التى توصل هو إليها فى صحراء الجزائر، وقال إن مثل هذه الحضارة العظيمة لا يمكن أن تنشأ إلا من خلال عقيدة قوية تكون هى فلسفة الوجود التى تدفع أبناء هذه العقيدة إلى بناء حضارة عظيمة.. إن مصر ليست فقط مهد الحضارة لكنها أيضا مهد الإيمان بمعناه التوحيدى الحديث.

❑❑❑

جان كلود بريالى:
أمضيت أسبوعا مع جين فوندا فى الفراش

توفى هذا الأسبوع الممثل الفرنسى الكبير جان كلود بريالى الذى ذاعت شهرته فى العالم كله مع أفلام ما عرف بالموجة الجديدة فى الخمسينيات من القرن الماضى، وبرغم أن الكثير من أفلام بريالى عرضت فى مصر، وبرغم أنه زار القاهرة رئيسا للجنة تحكيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى عام ٢٠٠٣م، فإن أيا من وسائل إعلامنا لم يهتم بإذاعة خبر وفاته!

كان جان كلود بريالى (٧٤ عاما) فنانا يفيض إنسانية وتشعر حين تلقاه أنك تعرفه منذ زمن بعيد، وقد كنت عضوا فى لجنة تحكيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى فى أكتوبر ٢٠٠٣م حين قابلت بريالى لأول مرة حيث كانت السينما الفرنسية ضيفة الشرف فى ذلك العام، وكان فنانها الكبير جان كلود بريالى هو رئيس لجنة تحكيم المهرجان. ويعتبر جان كلود بريالى أحد أساطير السينما الفرنسية حيث بزغ نجمه مع (الموجة الجديدة) التى كان أبطالها المخرجين فرانسوا تروفو وجان لوك جوادر وغيرهما، إلا إنه استطاع أن يتخطى (الموجة الجديدة) حين أفل نجمها واستمر فتى أول يتمتع بشباب دائم فى أفلام تالية لتلك الفترة ويصل عدد الأفلام التى قام جان كلود بريالى ببطولتها إلى ما يزيد على الـ ٤٠ فيلما، بالإضافة لبعض الأفلام التى قام بإخراجها بنفسه، وحين قابلت جان كلود بريالى فى أكتوبر ٢٠٠٣م لم تكن قد جمعتنا الظروف من قبل، لكن ما أن انتهى المهرجان حتى صرنا أصدقاء وكأن علاقتنا تعود لسنوات مضت، وكان آخر ما قاله لى قبل أن يغادر مصر:

إنى أعرف أنك كثير السفر إلى فرنسا فأرجو أن تقبل دعوتى فى سفرتك القادمة لتنزل ضيفا على فى (مونتيون) على بعد ٤٠ كيلو مترا من باريس.

وكان بريالى يمتلك شقة فى باريس لكنه كان لا يشعر بالراحة إلا فى قصره القديم الذى يعود تاريخه إلى القرن الـ ١٨، وقد اشتراه منذ سنوات واعتبره حصنه المنيع ضد ضوضاء باريس وصخبها كما قال لى، ففى قصر (مونتيون) كان بريالى يستقبل أصدقاءه المقربين ليقيموا فترة قد تطول أو تقصر حسبما يريدون، ومنهم الآن ديلون وجان بول بلموند وكاترين دينيف، وقد روى لى أنه حين فقدت الممثلة الشهيرة رومى شنايدر ابنها وقد كانت تربطه بها صداقة وطيدة وكانت آنذاك فى حالة نفسية سيئة أمضت بعض الوقت فى القصر حتى استعادت توازنها وتمكنت بعد ذلك من مواجهة الحياة من جديد.

وقد لا يعرف البعض أن جان كلود بريالى ولد فى الجزائر وكان والده برتبة كولونيل فى الجيش الفرنسى هناك وكانت علاقة الكولونيل بريالى مع ولديه جاك كلود تتسم بالكثير من الصرامة والحسم حتى إنه أراد لجان كلود أن يكون عسكريا مثله لكنه تمرد ولم يلبث أن ترك أسرته حيث كان والده قد انتقل للعمل فى ألمانيا وهرب إلى باريس وهو فى سن الـ٢٢، وهناك بدأ حياته الفنية بعد معاناة طويلة وقاسية مع الفقر والفشل.

وقد ساهم فى توطيد علاقتى بجان كلود بريالى منذ البداية شخصيته الطبيعية التى لا تكلف فيها ولا ادعاء، واهتمامه دائما بمن يحيطون به وكأنه يعرفهم منذ زمن بعيد، كما ساهم فى ذلك أيضا كونه لا يجيد إلا الفرنسية والتى كان بعض أعضاء لجنة التحكيم سواء من الفنانين والمصريين أو الأجانب لا يجيدونها، وهكذا وجدت نفسى مضطرا لأن أكون طرفا فى كل حوار لرئيس لجنة التحكيم مع بقية أعضاء اللجنة البالغ عددهم ١٢ عضوا منهم الأمريكى والأندونيسى، فكنت مترجما ومفسرا لكل منهم أنقل ما يقوله إلى الباقين وكانت تلك مهمة ثقيلة خاصة حين كنت أضطر لترجمة آراء لا اتفق معها، بل أسعى لطرح رأى مخالف لها حول الأفلام المرشحة لجوائز المهرجان.

وقد أدى ذلك إلى ما يشبه المواجهة بينى وبين جان كلود بريالى حين دعوت لجنة التحكيم لضرورة تكريم السينما المصرية فى المهرجان، بينما كان يرى معظم أعضاء اللجنة من الأجانب أن ما عرض على اللجنة من أفلام مصرية لا يرقى للحصول على أى نوع

جان كلود بريالى مع محمد سلماوى فى افتتاح مهرجان السينما

من التكريم فى مثل هذا المهرجان الدولى، وهكذا كان على أن أشرح لأعضاء اللجنة بالإنجليزية ولرئيس اللجنة بالفرنسية.

ظروف السينما المصرية وكيف أنها تحاول الخروج من أسر الأفلام التجارية وأنه كانت هناك فى ذلك العام بعض التجارب التى نجحت فى تقديم سينما لا تسعى للربح التجارى الرخيص، وأن تكريم المهرجان لها سيبعث برسالة تشجيع لصناعة السينما المصرية مؤداها أن تلك الأفلام وإن لم تحظ بالأرباح الخيالية التى تحققها الأفلام التجارية الرخيصة التى كانت سائدة آنذاك فإنها على الأقل تحصل على التقدير الأدبى فى المهرجانات، ولم يكن معى فى هذا الرأى إلا الفنانة نبيلة عبيد، وكدنا نخسر المعركة لولا أن جان كلود بريالى نفسه اقتنع فى النهاية بهذا الرأى ووصلنا إلى حل وسط يقضى بأن يحصل الفيلم الفلسطينى الرائع (موسم الزيتون) على جائزة أفضل فيلم عربى كما قررت اللجنة ويحصل فيلم (حب البنات) المصرى على شهادة تقدير المهرجان، وأذكر أن بريالى قال لى وقتها: إن تشجيع السينما على توخى الفن وليس الربح السريع هو قضيتنا جميعا، ولذلك علينا أن نحرص عليه فى السينما العالمية كلها وليس فى السينما المصرية وحدها.

ولقد أمضينا وقتا طويلا فى الحديث خارج جلسات المشاهدة الخاصة بالمهرجان وفى إحدى هذه المرات سألته عن علاقاته النسائية فى الوسط الفنى فقال لى بلا تردد كل ما عنده، ومن بين ما قاله إنه كان يعشق الممثلة الفرنسية دانييل داريو قبل أن يصبح ممثلا وأنه حين قام بالتمثيل أمامها بعد ذلك كان يضطر لإعادة كل مشهد عدة مرات لأنه كان يتلعثم كلما نظر إلى عينيها، أما أعظم تجاربه النسائية على حد قوله فهى تجربته مع أسطورة السينما الأمريكية آفا جاردنر والتى كثيرا ما وصفت بأنها (أجمل حيوان فى العالم) أما جين فوندا فقد أخبرنى أنه أمضى معها أسبوعا كاملا فى الفراش لكن ذلك –على حد قوله– كان فقط لدواعى تصوير الفيلم الذى كان يخرجه زوجها آنذاك المخرج الفرنسى روجيه فاديم بعنوان (الدائرة).

أما المطربة الفرنسية اليونانية نانا موسكورى فقد كانت تجمعه بها صداقة متينة حتى أنه حين تقرر تكريمه فى حفل ختام المهرجان طلب أن تسلم الجائزة نانا موسكورى التى حضرت خصيصا إلى مصر لتقوم بذلك، وحين رحل بريالى عن عالمنا فى الأسبوع الماضى وجدت مقالا مؤثرا فى رثائه بمجلة (بارى ماتش) الفرنسية كتبته نانا موسكورى وقد تصدرته صورة لها هى وزوجها مع بريالى أمام أهرامات الجيزة.

سميح القاسم:
أنا أوفر حظا من نجيب محفوظ!

من الأشياء التى أحزنت الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم أنه حين حضر إلى مصر فى نوفمبر ٢٠٠٦م ليتسلم جائزة نجيب محفوظ للكاتب العربى والتى يمنحها اتحاد كتاب مصر كل سنة لكاتب من الدول العربية الشقيقة أثرى الحياة الأدبية بإنتاجه، فإنه لم يسعد بلقاء من تسمت الجائزة باسمه والذى كان قد رحل عن عالمنا قبلها بثلاثة أشهر.

كان أديبنا الأكبر نجيب محفوظ يكن للشاعر الفلسطينى سميح القاسم تقديرا كبيرا، وكثيرا ما حدثنى عن أبياته الشعرية الفذة التى وصفها لى بأنها (ترقص أمام عينيك حينا، وتدمى على الورق حينا)، كما كان يكن له أيضا محبة خاصة نابعة من كونه فلسطينيا بكل ما تحمله فينا نحن العرب هذه الصفة من معان.

سميح القاسم يتسلم جائزة نجيب محفوظ

وعن معرفته بسميح القاسم قال لى محفوظ: لقد عرفت سميح القاسم من خلال أعماله أكثر مما عرفته شخصيا، فالمرات التى التقيت به فيها كانت أقل بكثير مما كنت أود قضاءه معه لنتحدث معا فى الأدب والشعر وأمور الأمة العربية.

ثم قال : لقد هزنى شـعر سميح القاسـم القادم من داخل فلسـطين حيث تمسك بوطنه ولم يترك الأرض لا قبل ولا بعد ١٩٤٨م، فهو من الفلسطينيين الذين تشبثوا بأرضهم برغم قيام إسـرائيل، لكن هؤلاء يدفعون الآن الثمن مضاعفا بالاضطهاد الذى يتعرضون له داخل إسـرائيل من ناحية ومقاطعتنا نحن لهم من ناحية أخرى، وشـعر سميح يحمل بصمة كل هذه المعاناة.

أما سميح القاسم فكان تقديره لنجيب محفوظ غير محدود كروائى عملاق فتح آفاقا جديدة للرواية العربية، وكإنسـان يفيض محبة للبشـر، وحين حدثته تليفونيا فى الخليل بفلسطين حيث يعيش لأدعوه لحضور المؤتمر العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب المنعقد فى مصر فى نوفمبر ٢٠٠٦م لم أقل له إن اللجنة المشـرفة على جائزة الكاتب العربى قررت منحها ذلك العـام له، بل اكتفيـت بأن أخبرته بأن اتحاد كتاب مصر قرر أن يصبح اسـم الجائزة الآن (جائـزة نجيب محفوظ للكاتـب العربى.. بدلا من (جائزة الكاتب العربى) فقال لى: لو كان أعضـاء اللجنة أمامى الآن لقبلتهم جميعا على هذا القرار، فجائزة اتحاد كتاب مصر قيمتها المادية لا يستهان بها (عشرة آلاف دولار) لكن قيمتها الأدبية أكبر لكونها قادمة من كتاب مصر، وبهذا القرار تكونون قد أضفتم لقيمة الجائزة الأدبية والمادية معا.

وطوال فترة وجود سميح القاسم فى القاهرة لم أقل له إنه هو الذى سيتسلم جائزة نجيب محفـوظ هـذا العام، وإن كانـت بعض الصحف كانت قد بدأت تسـتنتج ذلك منذ عرفت بوصول الشاعر الفلسطينى الكبير.

وكنا ذات مرة نسـتقل إحدى سـيارات المؤتمر فى الطريق لحضور جلسـة من جلسات المؤتمر، فإذا بالسـائق يرحب بسـميح ترحيبا حارا ويستأذن وهو يهم بركوب السيارة فى أن يقبله، وبعد أن ركبنا السـيارة واصل السـائق ترحيبه فسـأله سميح: هل تعرفنى؟ قال له: طبعا أعرفك، أنت الشـاعر الفلسـطينى سميح القاسم ولقد شاهدتك بالأمس فى حوار فى التليفزيون، فتعجبت من سـؤال سميح وقلت له: هل تتصور أن السـائق يرحب هكذا بأى راكب يركب معه؟

فضحك سميح القاسـم وروى لى أنه فى أول زيارة له لمصر فى السـتينيات الماضية كان بصحبة زميله الشاعر الكبير محمود درويش وكانت الصحف آنذاك تحتفى بهما باعتبارهما شـعراء الأرض المحتلة، وقد اسـتقلا سـيارة أجرة ذات يوم فرحب بهما السـائق ترحيبا كبيرا لدرجة أنه قال لهما حين سـألاه عن أجر المشوار إلى حيث يريدان الذهاب قال لهما إن الأجر على الله وأنه لن يتقاضى منهما أجرا.

ويقول لى سميح: لقد ظللنا أنا ومحمود درويش نتحدث فيما بيننا فى (التاكسى) عن سائقى سيارات الأجرة فى مصر وكيف يقدرون الشعراء، وقال لى محمود: لا بد أنه تعرف إلينا من صورتى التى ظهرت اليوم فى (الأهرام)، وقلت له: بل هو ظهورى أمس فى التليفزيون، فلم يعجبه ذلك التفسير وأصر على أن صورته هى التى كشفت عن هويتنا.

وبينما نحن نتجادل فيما بيننا إذ بالسائق يسألنا فجأة: ألا لا مؤاخذة كده البهوات بيشتغلوا إيه؟ فخرس كل منا مفاجئا بالسؤال وغضب محمود درويش وطلب من السائق إنزاله فورا من التاكسى.

وضحكنا أنا وسميح وقلت له إننا اخترنا للمؤتمر سائقين مثقفين ليتماشوا مع قيمة الضيوف وتحدثنا عن الجوائز الأدبية فى العالم، وروى قصة ترشيحه لأكبر جائزة أدبية فى إسرائيل وكيف رفضها بعد أن وضع شروطا تعجيزية طالب فيها بضرورة إقرار حق الفلسطينيين فى إقامة دولة وبعض الاشتراطات الأخرى التى لم يكن من الممكن تلبيتها.

ثم جاء وقت حفل الختام وفى جلسة مهيبة فى جامعة الدول العربية، وفى ذات القاعة الكبرى التى تشهد مؤتمرات القمة العربية نادينا على الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم ليتسلم (جائزة نجيب محفوظ للكاتب العربى) وسط تصفيق مدو للحضور الذين اكتظت بهم القاعة، ودهشة بادية على وجه الفائز.

وكانت فرحة الشاعر الفلسطينى عارمة وهو يصعد إلى المنصة لتسلم الجائزة، ثم وجه للحضور كلمة عاطفية شديدة التأثير تحدث فيها عن الوضع المأساوى الذى يعيشه الفلسطينيون داخل إسرائيل ثم تحدث عن الجائزة وسعادته بالحصول عليها وعن حبه لمن تسمت الجائزة باسمه ثم قال:

لقد فزت بجائزة نجيب محفوظ وفاز محفوظ بجائزة نوبل، لكنى أعتبر نفسى أوفر حظا من نجيب محفوظ، فهو قد فاز بجائزة رجل اخترع الديناميت وارتبط اسمه بالحروب والتدمير، أما أنا فقد فزت بجائزة نجيب محفوظ الروائى العملاق الذى ارتبط اسمه بكل ما هو جميل وكل ما هو إنسانى رفيع!!

وبينما انفجرت القاعة بالتصفيق أخذت أفكر بينى وبين نفسى: كم كان أديبنا الأكبر سيسعد حين كنت سأنقل له ما قاله صديقه سميح القاسم.

❑❑❑

خافير سولانا:
لا أملك عصا ولا جزرة!

أتصور أننى كنت من أوائل من عرفوا نبأ تعيين السياسى الأسبانى الكبير خافير سولانا سكرتيرا عاما للاتحاد الأوربى وذلك حين قابلت رئيس المفوضية الأوربية السابق جاك سانتير فى بروكسل عام ١٩٩٩م قبل أن يترك منصبه بأشهر قليلة فأسر إلى لأول مرة بأن هناك (شبه إجماع) بين الدول الأعضاء على اختيار خافير سولانا الذى كان السكرتير العام لحلف شمال الأطلنطى فى ذلك الوقت..

ويتميز خافير سولانا بأسلوب دبلوماسى رصين ويفضل العمل خلف الكواليس للتوصل إلى أهدافه بهدوء على مناقشة تفاصيل المشاكل الدولية التى يتعامل معها أمام كاميرات الصحافة والتليفزيون، لذلك فهو أكبر مخيب لآمال رجال الإعلام فى أوربا على حد ما قاله لى مراسل إحدى الصحف البريطانية الكبيرة لأنه لا يؤمن بالتصريحات القوية التى يتطلع إليها رجال الإعلام بل يعمد حين يسأل فى شىء أن يهدئ من الموقف ويقلل من سخونته بما يساعد على التوصل إلى حل.

خافير سولانا يستقبل محمد سلماوى

ولقد سألت سولانا ونحن جلوس بجناحه بأحد الفنادق بالقاهرة بينما أحاط بالجناح جموع من الصحفيين ومصورى التليفزيون: لماذا أنت محاط دائما بعدسات الإعلام برغم أنك نادر ما تقدم لهم التصريحات النارية التى يتطلعون إليها قال: أنا لا أسعى إليهم، هم الذين يسعون إلى، فهم يأملون دائما أن أقول لهم شيئا مهما وهذا لا يحدث أبدا، لأنى حين يكون لدى شىء مهم أفضل أن أستخدمه فى مباحثاتى مع الأطراف المعنية حتى أصل من خلاله إلى النتيجة المرجوة بدلا من أن أقدمه للصحف تلهو به فى عناوينها.

كان ذلك فى صيف عام ٢٠٠٣م وكنت أنا الصحفى الوحيد الذى التقى به سولانا أثناء زيارته للقاهرة آنذاك والتى جاءت ضمن جولة فى المنطقة كان الهدف منها هو تطبيق خريطة الطريق الخاصة بالشرق الأوسط وكان سولانا غاية فى التفاؤل وهو يحدثنى عما أسماه (الفرصة السانحة) Window of opportunity والتى ستسمح بتحريك القضية بعد فترة طويلة من الركود. لم أكن أشاركه ذلك التفاؤل بعد أن فقدت خريطة الطريق مصداقيتها لدى جميع الأطراف، فقلت: لقد قابلتك فى أكتوبر الماضى فلم تكن بمثل هذا التفاؤل، فماذا حدث؟

قال لى إنه التقى قبل أيام بالرئيس الأمريكى جورج بوش فوجده جادا فى تنفيذ خريطة الطريق (وإذا تحمست أمريكا زالت أهم عقبة أمام تلك الخريطة)، ولكنى كنت أعتقد أن حماس بوش سببه حرب العراق التى قلبت الرأى العام العربى ضده فلجأ إلى القضية الفلسطينية لتعويض ذلك.

قال سولانا: وما الضرر؟ المهم أن نستثمر تلك الجدية الأمريكية فى التوصل إلى حل، قلت: مادامت إسرائيل ضد خريطة الطريق فإن حماس الرئيس الأمريكى لن يدوم طويلا، لقد وضعت إسرائيل ما يقرب من مائة تحفظ على بنود تلك الخريطة، وبرغم أنها اختصرتها بعد ذلك إلى عشرين تحفظا، وبرغم أن الولايات المتحدة أعلنت رسميا أن الخريطة يجب أن تنفذ دون تعديل فإن الرفض الإسرائيلى كان هو العنصر الأساسى فى المعادلة وسيتبعه – فى رأيى – إن آجلا أو عاجلا انصراف أمريكى عن تلك الخريطة.

وحين التقيت بسولانا بعد ذلك بعام كامل كانت خريطة الطريق قد أصبحت فى خبر كان وأثناء حديثى معه لم يتعرض أى منا لها من قريب أو بعيد.

لكنى أروى تلك القصة لأدلل على أن سولانا برغم كل ما يقال عن أنه لا يسعى إلى الإعلام فهو يسعى إليه باستمرار ولكن بطريقته وهو يعتبر الإعلام إحدى الوسائل الأساسية فى طريقته الدبلوماسية.

ففى لقائى معه عام ٢٠٠٣م رفض سولانا لقاء كاميرات التليفزيون ورفض التصريح بأى شىء لمراسلى الصحف لكنه التقى بى فى محاولة لنقل إحساس التفاؤل الذى كان يملأه إلى حتى أقوم بدورى بنقله إلى الرأى العام من خلال ما يمكن أن أكتبه من مقالات تحليلية هادئة ربما اكتسبت مصداقية أكثر لدى القراء لأنها قادمة من كاتب عربى وليس مما يمكن أن ينقله أحد مراسلى الوكالات الأجنبية الذين كانوا يحيطون بجناحه فى الفندق، وأيضا دون أن يضطر سولانا نفسه للإفصاح عن ذلك الشعور بالتفاؤل الذى إذا لم يتحقق عاد على صورته الدبلوماسية بالضرر.

تلك هى أحد معالم الأسلوب الدبلوماسى الهادئ الذى يتبعه سولانا فى معاملاته مع القضايا الدولية، ولقد صارحته بذلك فضحك وقال: إذن فقد أرجعت أهم خصائصى الدبلوماسية إلى استخدامى لسلاح الإعلام!

قلت: وما هى فى تصورك أهم خصائص أسلوبك الدبلوماسى .. بعيدا عن استخدامك للإعلام؟

قال : أولا أنا أعتمد على قوة حجتى وعلى قدرتى على الإقناع، فالاتحاد الأوربى لا يملك الجيوش ولا الأساطيل التى يستطيع أن يضغط بها على البعض كما تفعل الدول الكبرى، كما أننى لا أملك أيضا المغريات التى تتمتع بها تلك الدول فليس بإمكانى مثلا أن أعد أحدا بعقود تجارية مجزية ولا باستثمارات ضخمة، صحيح أن الاتحاد الأوربى يقدم المعونات المادية لكن تلك مسئولية إدارة أخرى فى الاتحاد لا أحتكم عليها، أى إننى لا أملك عصا ولا جزرة لذلك أعتمد على قدرتى على إقناع الطرف الآخر أن الحل الذى نسعى إليه هو فى صالحه.

ويصمت سولانا قليلا ثم يعود فيقول: على أن أضيف أيضا نقطة قوة أخرى وهى أن الاتحاد الأوربى الذى أمثله يختلف عن الدول الأعضاء به فى أن كلا من هذه الدول يتحرك وفق مصالحه المادية، وقد كان تشرشل هو الذى قال: قل لى مصالحك الاقتصادية أقل لك سياستك، أما الاتحاد الأوربى فليست له مصالح اقتصادية خاصة لذلك فإن سياسته يجب أن ترتكز على المبادئ الكبرى مثل سيادة القانون والالتزام بالشرعية الدولية ودعم حقوق الإنسان، (وتلك كلها مبادئ غاية فى الأهمية خاصة حين نتحدث عن الشرق الأوسط).

قلت : إن ذلك يجعلك على النقيض من وزراء خارجية الدول الكبرى الذين يوجهون سياسة بلادهم وفق الصالح القومى لبلادهم، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل

للاتحاد الأوربى مواقف أكثر تقدما من الدول الأعضاء فيه، وقد لمسنا ذلك بوضوح منذ إعلان فينسيا.

قال : هذا صحيح، وهو يدفع الدول الأعضاء نحو هذه المواقف لأنها تقوم على مبادئ لا يختلف عليها أحد.

ويعتبر خافير بيريز سولانا (٦٥ عاما) من أكثر رجال السياسة الأوربيين مرونة، وهو سياسى من نوع متميز، وقد بدأ حياته عضوا قياديا فى حزب العمال الاشتراكى الأسبانى عام ١٩٦٤م وانتهى به الأمر عام ١٩٩٥م سكرتيرا عاما لحلف شمال الأطلنطى، وما بين هذا وذاك شغل سولانا مناصب وزارية متعددة فى بلاده كان أبرزها وزير الخارجية والمتحدث الرسمى باسم الحكومة الأسبانية.

وكان سولانا يمثل فى بداية حياته أقصى درجات اليسار فى الحزب الاشتراكى الأسبانى برغم خلفيته البرجوازية فهو سليل إحدى العائلات الثرية التى أنجبت الكاتب والدبلوماسى الأسبانى الكبير سلفادور دى مادارياجا روخو، وقد كان وزير الخارجية الأمريكى الأسبق وارين كريستوفر أول من تنبه لقدرات سولانا الدبلوماسية وقت كان وزيرا لخارجية أسبانيا فى بداية التسعينيات حيث ساهم بشكل ملحوظ فى إنجاح مؤتمر مدريد الخاص بالشرق الأوسط عام ١٩٩١م، ولم يكن غريبا أن يرأس سولانا بعد ذلك حلف شمال الأطلنطى برغم أنه ليس عسكريا، وقد كانت تلك سابقة جديدة فى تاريخ الحلف.

❑❑❑

فاطمة رشدى:
عبد الوهاب كان طماعا!

لم يكن أحد قد عاد يسمع عن فاطمة رشدى فنانة المسرح الشامخة التى أطلقت عليها أسطورة المسرح العالمى سارة برنار بنفسها لقب (سارة برنار الشرق) إلى أن جاءتنى فى أواسط التسعينيات الماضية محررة شابة من العاملين فى (الأهرام إبدو) تقول إنها عثرت على فاطمة رشدى فى أحد (البنسيونات) الصغيرة الواقعة وسط البلد وأنها علمت أن عيد ميلادها فى اليوم التالى، فقلت لها أن تبلغها أننا ندعوها كى نحتفل فى (الإبدو) بعيد ميلادها.

كانت السنون قد فعلت فعلها فى فاتنة المسرح المصرى ورائدته الأولى بعد فاطمة اليوسف، ولم أتبين إلا بصعوبة ملامح ذلك الوجه الذى ملأ سماء الفن فى مسرحيات أمير الشعراء أحمد شوقى فى بدايات القرن الماضى وفى فيض من أشهر المسرحيات العالمية التى كانت أكثرها نجاحا مسرحية (النسر الصغير).. كان وجها جميلا يعبر فى نفس الوقت عن أنوثة طاغية وعن قوة شخصيتها، وقد خلدته الشاشة الفضية فى عدد من الأفلام المهمة والتى كان من بينها فيلم (العزيمة) الذى أخرجه زوجها الثانى كمال سليم وكان علامة فاصلة فى تاريخ السينما المصرية.

كانت الأنوثة قد زالت وأفسحت مكانها للأنهار والجداول التى حفرتها الأيام على صفحة وجهها المترهل، لكن حضورها المسرحى كان مازال طاغيا وعينيها لم يبرحهما قط ذلك الذكاء المتقد.

كانت ترتدى فستانا متواضعا هو أقرب إلى الجلباب وقد غطت رأسها بطرحة بيضاء مثل نساء الأحياء الشعبية، وقد أخبرتنى الزميلة شيرين عبد العظيم أنها عثرت عليها فى غرفة أقل من المتواضعة فى الدور الثانى ببنسيون فقير فى شارع الجمهورية بالعتبة، وأن الغرفة كان بها حوض للاغتسال إلى جوار السرير لكن لم يكن بها حمام.

حين جاءت فاطمة رشدى كان معى بمكتبى الشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى الذى فوجئ حين قلت له إن تلك السيدة هى فاطمة رشدى فانحنى على الفور على يدها

وقبلها فى احترام وإجلال قائلا إنه طالما شاهد عروضها المسرحية وهو طالب بالجامعة حيث كانت قد خصصت يوما فى الأسبوع لاستقبال طلبة الجامعة فى مسرحها بسعر دخول رمزى هو خمسة قروش وهو ما استحقت بسببه لقب (صديقة الطلبة).

وقد روت فاطمة رشدى بعض ذكرياتها فقالت إنها عينت محمد عبد الوهاب فى فرقتها المسرحية بأجر قدره أربعة جنيهات فى الليلة، لكنه (طمع) بعد ذلك فزادتهم إلى خمسة جنيهات، إلى أن طلب منها بعد فترة أن تدفع له ١٤ جنيها فى الليلة فقالت له (الباب يفوت جمل)! واستغنت عنه..

ثم تحكى عن بداياتها الأولى فى الإسكندرية حيث ولدت هى وأختاها لأم يوجوسلافية فتقول إن والدها كان يمتلك مصنعا للحلاوة الطحينية، لكنه توفى واستولى شريكه على المصنع فوجدت عائلتها نفسها فى الشارع، إلى أن تمكنت شقيقتاها رتيبة وإنصاف من العمل بالغناء فى مسرح أمين عطا الله مع المطربة ذائعة الصيط آنذاك فتحية أحمد، وفى إحدى الليالى اختلفت فتحية أحمد مع مدير الفرقة حول الأجر وتركت له المسرح قبل فتح الستار بقليل، وكان عمر فاطمة رشدى آنذاك عشر سنوات لكنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كل أدوار سيد درويش التى كانت تغنيها فتحية أحمد فذهبت بجرأتها المعتادة وعرضت على المدير أن تغنى بدلا من فتحية أحمد، وفى ظروف عادية كان سيصرفها على الفور، لكنه إزاء الورطة التى كان فيها بعد مغادرة فتحية أحمد للمسرح قبل أن يستمع إلى تلك الطفلة التى كانت تصحب شقيقتيها كل يوم إلى المسرح فغنت له دور (طلعت يا محلى نورها) فعينها على الفور، وكان يعطيها كل يوم قطعة (شكولاته) لكنها فعلت كما فعل معها عبد الوهاب بعد ذلك فطلبت من صاحب الفرقة زيادتها إلى قطعتين.

وهكذا بدأت فاطمة رشدى حياتها الفنية بالغناء وليس بالتمثيل، أما دخولها مجال التمثيل فكان حين انتقلت مع أسرتها إلى القاهرة وتعرفت إلى نجيب الريحانى الذى نصحها هى وشقيقتاها بالسفر إلى بورسعيد لوجود فرقة هناك تبحث عن مطربات، وحين وصلت فاطمة رشدى إلى بورسعيد وجدت أن الفرقة هى فرقة سيرك، فتقول: كنا نغنى وسط الحيوانات والمهرجين ولاعبى الأكروبات لذلك ما لبثت أن عدتُ إلى القاهرة حيث تعرفت إلى الأديب والكاتب المسرحى محمد تيمور الذى عرفها على مخرج جديد عائد من دراسته فى باريس اسمه عزيز عيد فأصبح أستاذها وكانت تأخذ رأيه فى كل شىء.

ثم تقول فاطمة رشدى: فى مرة جاءنى عريس ولم أكن قد أكملت عامى العشرين بعد، وسألت الأستاذ عزيز عيد عن رأيه فرفض زواجى بشدة قائلا إن على أن أركز على مستقبلى الفنى، ففعلت ما قاله، لكنه ما لبث بعد فترة وجيزة أن أشهر إسلامه وتزوجنى برغم فارق السن الذى كان بيننا!

وتضيف فاطمة رشدى: إن عزيز عيد أحضر لى ١٣ معلما فى البيت لتعليمى القراءة والكتابة والقرآن والتاريخ والفن وعلم النفس وغيرها، أما هو فكان معلمى الأوحد فى التمثيل وفن الإلقاء وبعد أن أكمل عزيز عيد تعليم فاطمة رشدى رفع الستار ذات ليلة عن بطلته الجديدة فى مسرحية (توسكا) فصارت نجمة بين يوم وليلة وتوالت مسرحياتها ما بين النصوص العالمية والعربية.

وتقول فاطمة رشدى إن أمير الشعراء حين شاهدها على المسرح وقيل له إنها هلال جديد فى سماء المسرح قال: إن هذا الهلال سيتحول قريبا إلى بدر، ثم تؤكد أن شوقى كتب لها خصيصا مسرحية (مصرع كيلوباترا) والتى قام فيها عبد الوهاب بدور أنطونيو، كما مثلت له أيضا مسرحية (مجنون ليلى) و(أميرة الأندلس).

وهكذا تصبح فاطمة رشدى أول سيدة تحصل على أدوار البطولة فى المسرح بعد اعتزال فاطمة اليوسف واتجاهها إلى الصحافة، وقد سبقت بذلك زينب صدقى وأمينة رزق ودولت أبيض وروحية خالد وزوزو حمدى الحكيم وفردوس حسن ونجمة إبراهيم، بل إن بعض هؤلاء مثل أمينة رزق وزينب صدقى كن يقمن بالأدوار الثانوية إلى جوار الفنانة الكبيرة فاطمة رشدى التى كانت أكبر نجمة فى سماء المسرح العربى فى ذلك الوقت.

وتجئ فترة الحرب العالمية الثانية وتصاب الحركة المسرحية بالركود وتحل الفرق المسرحية نفسها فتتوقف فاطمة رشدى عن العمل لفترة ثم تعود إلى شقيقتيها مرة أخرى لتغنى معهما فى النوادى الليلية، فتقدمن المنولوجات بمصاحبة الموسيقى التى كان يضعها لها فنان شاب من اكتشافها اسمه فوزى الحلو وقد أصبح بعدها نجما كبيرا فى عالم الموسيقى عرف باسم محمد فوزى.

ولقد روت فاطمة رشدى بعض تلك الذكريات فى وجود محررى (الأهرام إبدو) بعد أن انتقلنا إلى صالة التحرير حيث احتفلنا بعيد ميلادها وبعد أشهر قليلة رحلت فاطمة رشدى عن عالمنا تاركة لنا الذكريات التى روتها لنا على ما يقرب من الساعتين.

❑❑❑

آلان روب جرييه:
أقلعت عن كتابة الرواية!

الكاتــب الروائى الفرنســى الكبير آلان روب جرييه هو أبــو الرواية الجديدة فى فرنســا التى أطلق عليها النقاد اســم الرواية الضد anti roman وكانت أول رواياته هى Des Gommes أى (الاستيكة) التى صدرت عام ١٩٥٣م فبدأت مدرسة جديدة تماما فى الرواية الفرنســية، انتمى إليها عدد كبير من أهم روائيى فرنســا فى النصف الثانى من القرن العشــرين، لذلك فقد دهشــت حيث قال لى فى خريف عام ٢٠٠٤م إنه قد أقلع نهائيا عن كتابة الرواية!

آلان روب جرييه

كان لقاؤنــا فى القاهــرة أثناء زيارة قام بها الروائى الفرنســى الكبير آلان روب جرييه إلى مصر فى ســبتمبر من عام ٢٠٠٤م، وكان قد مضى أكثر من نصف قرن من الزمان على الصعــود الفلكى لنجــم روب جرييه فى سماء الأدب الفرنســى والعالمى، حيث تحول إلى أسطورة بعد أن قلب موازين الرواية رأسا على عقب فأنهى تماما الاعتماد على الشخصيات التــى كان يبــذل روائيــو القرن الـ ١٩ جهدا كبيرا فى رســم تفاصيلها، كمــا أنهى أيضا الاعتماد على (الحدوتة)، مما جعل البعض يقول إن الرواية الجديدة لا يحدث بها شىء، لذلك كان سؤالى لروب جرييه: هل صحيح أن الرواية الجديدة ليس بها أحداث؟

قـال على الفـور: تلك نظرة قاصـرة، فرواياتى التى صنفها النقاد علـى أنها (الرواية الجديـدة) أو (الرواية الضـد) مليئة بالأحداث لكنها كانت جديـدة لأنها تقدم الأحداث بشكل مختلف عما يتوقعه القارئ.

وتذكـرت رواية (الغيرة) التى صدرت عام ١٩٥٧م واسمها بالفرنسـية Jalousie وهى كلمـة تعنـى الغيرة كما تعنى أيضا (شـيش) النافذة، وتصور غـيرة زوج من علاقة زوجته بجـار لهمـا، وقد كان الزوج يتابع لقاءاتهما فى مزرعة الموز التى تجرى بها الأحداث من خلف (شيش) نافذته، لقد كان موضوع الرواية ليس الأحداث التى تقع بين الزوجة والجار ولا بين الزوج وزوجته، وإنما كان الموضوع هو الغيرة ذاتها والتى كانت ترصد الأحداث من خلال (شيش) النافذة.

وقـد لا يعرف البعـض أن آلان روب جرييه دخل الأدب من بـاب علم النبات، وأنه تخصص بالذات فى زراعة الموز وربما كان هذا أحد الأسـباب فى أن التحليل والتشـريع يأخذان الصدارة فى أعماله الروائية، وقد اتضح ذلك بشكل جلى فى رواية (الغيرة).

وكانـت رواية (قتل الملـك) هى أولى روايات آلان روب جرييه، فقد كتبها عام ١٩٤٩م لكنها لم تنشـر إلا فى الخمسـينيات بعد أن كانت رواية (الأسـتيكة)، قد حددت معالم مدرسته الجديدة التى أصبح ينضوى تحت لوائها عدد من أهم كتاب الرواية الفرنسيين فى فترة أواسط القرن الماضى والذين كان من بينهم ميشيل بوتور وكلود سيمون الذى حصل بعد ذلك على جائزة نوبل وناتالى ساروت ومارجريت دوراس.

لكن (الرواية الجديدة) التى ملأت الدنيا ضجيجا فى الخمسينيات والستينيات سرعان ما انطفأت جذوتها وتوارى كتابها عن المشـهد الأدبـى ليدخلوا أضابير التاريخ باعتبارهم كانوا يمثلون مرحلة مهمة فى تاريخ الفن الروائى فى العالم، لكنهم لم يعد لهم مكان على الساحة المعاصرة، وهكذا فإنك تبحث اليوم عن أى عمل أدبى لأديب نوبل كلود سيمون فى المكتبات الفرنسـية فلا تكاد تجده، وأما ميشـيل بوتور فقد اعتمدت شهرته على الروايات الثلاث التى كتبها فى الخمسينيات ولم يلتفت كثيرا لروايتين أخريين كتبهما بعد ذلك.

والحقيقة أن اتباع (الرواية الجديدة) الذين فلتوا من مصيرها فاسـتمروا يكتبون الرواية بنجاح، هما الكاتبتان مارجريت دوراس وناتالى ساروت، وأما أبو (الرواية الجديدة) نفسه فقد انصرف عنها فى السنوات الأخيرة.

سألت آلان روب جرييه: ماذا تكتب الآن؟.. فقال أنا لا أكتب ولكنى أصور، قلت ماذا تقصد؟.. قال: لقد توقفت عن كتابة الرواية وأقوم الآن بإخراج الأفلام السينمائية. قلت: لكنك أخرجت أفلاما قبل ذلك وكتبت لها النص دون أن تترك الرواية. قال: لكنى الآن أتركها. قلت: هل تتركها لأنها تركتك؟..

نظر إلى مستفسرا فقلت: لقد كانت (الرواية الجديدة) صعبة على القراءة، بل إنها استعصت على البعض تماما وأصابت البعض الآخر بصدمة ربما كانت هى التى جعلتهم ينصرفون عنها بعد ذلك.

قال: إن أعمال (الرواية الجديدة) اعتمدت فى معظمها على خلفية فلسفية سواء فى رواياتى أم روايات غيرى، وبعض الناس قد تعودوا على القراءة السهلة فأصبحوا يسعون إلى الكتاب الذى يستطيعون أن يصحبوه معهم فى القطار أو الأتوبيس، لكن هذا ليس من الأدب فى شىء وليس من الفن فى شىء، إن الفن الحقيقى هو ذلك الذى يصدم الناس ويتحدى مفاهيمهم المسبقة، وكل مدرسة جديدة فى الأدب أو الموسيقى أو الفن التشكيلى صدمت الجمهور فى البداية وسببت لهم اضطرابًا فى مفاهيمهم لكنهم تعودوا عليها بعد ذلك وصاروا يتقبلونها بسهولة، والحقيقة أن المدرسة الفنية تسقط ويصبح الفن فى حاجة إلى مدرسة جديدة فى ذات الوقت الذى يعتاد فيه الناس تلك المدرسة فيستطيعون قراءة أعمالها فى القطار أو الأتوبيس.

قلت: هل ترى أن الناس تعودوا على الرواية الجديدة؟ أم أنهم تركوها وعادوا مرة أخرى فى السنوات الأخيرة إلى تقاليد الرواية القديمة من العناية برسم الشخصيات والاهتمام بالأحداث؟

قال: وقت كانت (الرواية الجديدة) هى المسيطرة على الساحة الأدبية لم يكن من الممكن لروائى أن يكتب وفق القواعد القديمة، لكن بعد أن أكملت (الرواية الجديدة) دورتها وأخذت مكانها جنبا إلى جنب مع المدارس الأخرى وأصبح من الممكن أن تجد روايات مكتوبة بأسلوب آخر غير أسلوب (الرواية الجديدة)، لقد حققت (الرواية الجديدة) أهدافها، وإذا كانت لا تمثل الاتجاه السائد الآن فإنها تركت بصماتها واضحة على الفن الروائى وحتى إذا كتب أحدهم رواية على غرار روايات القرن الـ ١٩ فإنه يكتبها الآن بشكل مختلف لأنه قد

تأثر بشكل أو بآخر بـ (الرواية الجديدة) وما قدمته من أساليب جديدة.

وربما كان أكبر دليل على ما قاله روب جرييه من أن (الرواية الجديدة) التى استعصت فـى البداية على الفهم قد أصبحت الآن مدرسـة تقليدية معترفـا بها هو قرار (الأكاديمية الفرنسـية) بضـم آلان روب جرييه إلى عضويتها، فالأكاديمية التـى تماثل عندنا المجمع اللغوى تعتبر قلعة الاتجاه المحافظ فى الأدب الفرنسى.

قلت: لك رواية اسمها (المتلصص) Le Voyeur تدور حول شـخص يحقق فى جريمة قتل فتاة قبل أن تقع وينتهى به الأمر بارتكاب تلك الجريمة بنفسه.

فقاطعنـى قائلا: إنها سـيرتى الذاتيـة، إن كل الروايات هى سـير ذاتية لأصحابها، صحيح أننى لم أقتل أية فتاة فى حياتى، لكن أحد المحللين النفسـيين قال لى ذات مرة: حسنا فعلت أن كتبت تلك الرواية، ولو لم تكتبها لربما ارتكبت جريمة قتل بالفعل.

قلت: ألا ترى فى هذه الرواية نبوءة؟ أليست تلك الفتاة التى قتلتها هى ذاتها (الرواية الجديدة) التى قتلتها بأن أهملتها وانصرفت عنها إلى السينما؟

قال: لم يقل لى أحد ذلك من قبل.

❑❑❑

بطرس بطرس غالى:
مبارك لم يرغب فى ترشيحى للأمم المتحدة!

قلت للدكتور بطرس بطرس غالى الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة: بعد كل ما أصدرته من كتب منذ تركت (مبنى علبة الكبريت) بنيويورك عام ١٩٩٦م فإن الإحساس العام سواء فـى مصر أم فى الخـارج هو أنك لم ترو بعد قصة خروجك من الأمـم المتحدة، فقال على الفور: هذا صحيح لكن ليس كل ما يعرف يقال، لقد كنت فى موقع حسـاس والكثير من المعلومـات التـى كانت لـدى وصلتنى بحكم منصبى ولا أسـتطيع الآن بعد أن تركت هذا المنصب أن أفشيها!

د. بطرس بطرس غالى

كنا نجلـس فى غرفة جلوس منـزل الدكتور بطرس على نيل الجيزة وتذكرت جلسـة سابقة فـى مكتبه بمنظمـة الفرانكوفونيـة بباريس وقد سألته: لماذا تركت الأمم المتحدة؟ فقال لى: أنا لم أتركهـا، بل هى التى تركتنى! وقد ذكرته بذلك ونحن جلوس فى منزله بالجيزة، فقال: إن لكل شـىء ثمنا، وفى بعض الأحيان قد يجد المرء أن الثمن الذى عليه أن يدفعه يزيد على ما سيحصل عليه فى المقابل فيرفض الشـراء، وأنا كان أمامى أن أشـترى السـنوات الباقية من فترة رئاسـتى للأمم المتحدة، وقد عرض على ذلك بالفعل حين أخبرنى أحد أعوان الرئيس الأمريكى أنه من الممكن أن أكمل فترة رئاسـتى وأن أحتفل بعيد ميلادى السبعين فى البيت الأبيض، لكنى رفضت ذلك العرض.

وأحسست أن هذا هو كل ما يريد أن يقوله الدكتور بطرس بطرس غالى حول هذا الموضوع فـى الوقت الحالى، فحولت دفة الحديث تاركا له اختيار الوقت المناسـب فى المسـتقبل

الــذى قــد يقرر فيه أن يفصح عن خفايا هذا الموضــوع ويروى القصة الحقيقية لخروجه من الأمم المتحدة والتى لا نعرف من تفاصيلها إلا أن الولايات المتحدة هى التى كانت وراء هذا القــرار، وأن مادلين أولبرايت المندوبة الأمريكية فــى الأمم المتحدة آنذاك والتى اصطدمت بشدة مع السكرتير العام المصرى كانت هى بالتحديد أداة هذا القرار.

ومن الغريب أن مصر لم تكن متحمســة فى البداية لترشــيح الدكتور بطرس بطرس غالى لرئاســة الأمم المتحدة، كان ذلك فى صيف عام ١٩٩١م وكان قد تم ترقية الدكتور بطرس فى الوزارة من وزير دولة للشــئون الخارجيــة إلى نائب لرئيس الوزراء وقد روى لى الدكتور بطرس آنذاك فى مكتبه بالخارجية أن الوزارة كانت تتلقى تقارير من سفرائنا فى مختلف البلدان الأفريقية والتى كانت ترشــح اسم وزير الدولة المصرى الذى ارتبط بسياسة التقارب مع إفريقيا لرئاسة الأمم المتحدة فى الفترة القادمة خلفا لبيريز دى كويار الذى كانت فترة رئاســته ســتنتهى مع نهاية عام ١٩٩١م، وقد كان الاتجاه السائد آنذاك أنه قد آن الأوان أن ترأس المنظمة الدولية شــخصية إفريقية، لكن الرئيس حسنى مبارك كان يرد على تلك التقارير– حســبما قال لى الدكتور غالى– قائلا إن مصر لا تفكر فى ذلك فى الوقت الحالى، وعندما تكرر مثل هذا الرد من مصر أكثر من مرة أصبح واضحا للجميع أن الرئيس لا يؤيد هذا الترشيح.

لكــن حدث أن حضر الدكتور بطرس مؤتمر القمة الأفريقية نيابة عن الرئيس مبارك فى أبوجــا فى صيف عام ١٩٩١م حيث تم بحث موضوع تقديم مرشــح إفريقى لرئاســة الأمم المتحدة، وقدم الرئيس النيجيرى إبراهيم بابا نجيدا للرؤساء قائمة من عدة مرشحين لمنصب الســكرتير العام للأمم المتحدة، وقد أثارت هذه القائمة الكثير من الخلافات بين الرؤســاء الحاضريــن لأن الأسماء الواردة فى القائمة كانت تنتمى جميعها إلى مجموعة ثقافية واحدة وهى الدول الأفريقية المتحدثة باللغة الإنجليزية، وقوبلت هذه الأسماء باحتجاجات عنيفة من رؤساء الدول المتحدثة باللغة الفرنسية، وثارت الأسئلة: أين إفريقيا الفرانكوفونية؟ وأين أفريقيا العربية؟ ولماذا لا يوجد ممثل عن شرق إفريقيا وآخر عن شمالها؟

وقــد كانت الفكرة من إعداد هذه القائمة هــى ضمان ألا يذهب المنصب هذه المرة لدولة غير أفريقية، ففى حالة الاتفاق على مرشــح إفريقى واحد فإذا ما تم رفضه لأى ســبب فى مجلس الأمن تكون الفرصة قد ضاعت على إفريقيا أما فى حالة وجود أكثر من مرشح فهذا

يعطـى فرصة أكبر أمام أعضاء المجلس لاختيار مرشـح من بينها، وإذا رفض اسـم يمكن اختيار الآخر.

ويقول الدكتور بطرس غالى: لقد وعدت الرؤسـاء الأفارقة الذين رشحونى لهذا المنصب فى اجتماع القمة أن أعرض الأمر مرة أخرى على الرئيس مبارك، وعند عودتى إلى القاهرة أحطت الرئيس علما بالموضوع ونقلت إليه قرار القمة الأفريقية بتشـكيل لجنة من ٥ أو ٦ رؤسـاء من بينهم الرئيس مبارك نفسـه للاتفاق على قائمة جديدة بأسماء المرشحين، ولقد وافق الرئيس أخيرا على أن يكون المرشح المصرى ضمن قائمة المرشحين الأفارقة وذلك نزولا على رأى الدول الأفريقية.

وبالطبع ما أن أصبح ترشيح الدكتور بطرس غالى رسميا ضمن قائمة الأسماء التى تقدمت بهـا الدول الأفريقية حتى ثارت ثائرة (اللوبى) الصهيونى، خاصة فى الولايات المتحدة.. وقـد أعلنت بعـض الدوائر اليهودية فـى الولايات المتحدة رفضها القاطع لهذا الترشـيح وحاولـت أن تضفـى على رأيها مسـحة موضوعية حين قالت إن مصر طرف أساسـى فى واحدة من أهم النزاعات التى سـتكون على جدول أعمال الأمم المتحدة فى الفترة القادمة، وربما كان من الأفضل أن يأتى السكرتير العام الجديد من دولة لا تتصل بهذا النزاع.

لكـن رد الدكتـور بطرس فى ذلك الوقت كان قاطعا، وقد ضحك وهو يقول لى: الحقيقة أن محاولات التسـوية الخاصة بقضية الشـرق الأوسط جرت كلها فى الفترة الأخيرة خارج إطار الأمم المتحدة، ولقد كدنا نستجدى المنظمة الدولية أن تتولى مسئولياتها فى هذا الشأن لكن دون جدوى، فقد كانت إسـرائيل نفسـها ومن ورائها الولايات المتحدة ضد إشـراك الأمم المتحدة فى أى تسـوية، لكنى بالطبع ضد هذا الوضع وأتمنى أن تكون الأمم المتحدة وقراراتها الخاصة بهذه القضية هى المرجعية فى أى تسوية قادمة.

ثم أضاف: إن الحقيقة التى ينبغى التأكيد عليها هى أن جنسـية السـكرتير العام وفق تقاليد الأمم المتحدة تنحى جانبا بمجرد أن يصبح موظفا دوليا فلا يصح أن يشـار له على أنه مصرى أو نرويجى أو نمساوى.

قلـت: إذا كان لك أن تختار شـخصية واحدة تعتبرها أهـم من قابلت فى حياتك، فمن تكون؟

قـال على الفور: نيلسـون مانديلا، وقد أسـر إليك أنه من دواعـى اعتزازى أننى كان لى دور ما فى إطلاق سراح هذا الرجل العظيم، وهو لم يوجه إلى كلمة شكر صريحة فى هذا

الموضوع لكنه فعل ما هو أكثر.

قلت: هل سيأتى اليوم الذى تفصح فيه عن هذا الموضوع ضمن موضوعات أخرى مازالت طى الكتمان؟.

قال: لا أظن.

وورد إلىّ خاطـر وأنـا جالس مع الدكتور بطرس بطرس غـالى فى منزله بالجيزة وأمامنا النيل ينساب فى هدوء برغم ضجيج الشارع، فطرحت عليه سؤالا كثيرا ما جال بخاطرى: لمـاذا قبلت أن ترأس منظمة الفرانكوفونية؟ ولمـاذا قبلت أن ترأس المجلس القومى لحقوق الإنسـان؟ ألم تكن تريد أن يظل منصبك على رأس أكبر المنظمات الدولية هو آخر مواقعك فى الذهن العام؟

سـكت الدكتور بطرس غالى قليلا ثم قال فى هدوء النيل المنسـاب أمامنا: هل تصورت شـعور الإنسـان الذى كانت حياته لا تتسع لما عليه أن يقوم به من أعمال حين يصحو من نومه ذات يوم فلا يجد ما يعمله؟..

لم أرد، فواصل حديثه: إن واجب الإنسان أن يظل يعمل.. مادام قادرا على العطاء.

❑❑❑